٤٤١
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

ذكر ظهور الخُلف بين قِرواش وأخيه أبي كامل وصلحهما

في هذه السنة ظهر الخُلف بين معتمد الدولة قِرواش وبين أخيه زعيم الدولة أبي كامل ظهوراً آل إلى المحاربة، وقد تقدّم سبب ذلك. فلمّا اشتدّ الأمر، وفسد الحال فساداً لا يمكن إصلاحه، جمع كلّ منهما جمعاً لمحاربة صاحبه، وسار قِرواش في المحرّم، وعبر دجلة بنواحي بَلَد، وجاءه سليمان بن نصر الدولة بن مروان، وأبو الحسن بن عَيْسَكان الحُميديُّ، وغيرهما من الأكراد، وساروا إلى مَعْلَثَايَا[1] فأخربوا المدينة ونهبوها ونزلوا بالمُغيثةِ، وجاء أبو كامل فيمن معه من العرب وآل المسيّب، فنزلوا بمرج بابنيثا[2]، وبين الطائفتَيْن نحو فرسخ، واقتتلوا يوم السبت ثاني عشر المحرّم، وافترقوا من غير ظفر، ثم اقتتلوا يوم الأحد كذلك، ولم يلابس الحرب سليمان بن مروان بل كان ناحيةً، ووافقه أبو الحسن الحُميديُّ، وساروا عن قِرواش، وفارقه جَمْعٌ من العرب، وقصدوا أخاه، فضعف أمر قِرواش، وبقي في حلّته وليس معه إلاّ نفر يسير، فركبت العرب من أصحاب أبي كامل لقصده، فمنعهم، وأسفر الصُّبح يوم الاثنين وقد تسرّع بعضهم ونهب بعضاً من عرب قرواش، وجاء أبو كامل إلى قرواش واجتمع به ونقله إلى حلّته، وأحسن عشرته، ثم أنفذه إلى الموصل محجوراً عليه وجعل معه بعض زوجاته في دارٍ.

وكان ممّا فتّ في عضُد قِرواش وأضعف نفسه أنّه كان قد قبض على قومٍ من الصيّادين بالأنبار لسوى طريقهم وفسادهم، فهرب الباقون منهم، وبقي بعضهم

---

(١) في (أ): «بعلثايا».

(٢) في الباريسية: «باما».

بالسِّنديّة، فلمّا كان الآن سار جماعة منهم إلى الأنبار، وتسلّقوا السور ليلة خامس المحرّم من هذه السنة، وقتلوا حارساً، وفتحوا الباب، ونادوا بشعار أبي كامل، فانضاف إليهم أهلوهم وأصدقاؤهم ومن له هوًى في أبي كامل، فكثروا، وثار بهم أصحاب قرواش، فاقتتلوا فظفروا وقتلوا من أصحاب معتمد الدولة قرواش جماعة، وهرب الباقون، فبلغه خبر استيلاء أخيه، ولم يبلغه عود أصحابه.

ثم إنّ المسيّب وأمراء العرب كلّفوا أبا كامل ما يعجز عنه، واشتطّوا عليه، فخاف أن يؤول الأمر بهم إلى طاعة قرواش وإعادته إلى مملكته، فبادرهم إليه، وقبّل يده وقال له: إنّني وإن كنتُ أخاك فإنّني عبدك، وما جرى هذا إلاّ بسبب من أفسد رأيك فيَّ، وأشعرك الوحشة منّي، والآن فأنت الأمير، وأنا الطائع لأمرك والتابع لك؛ فقال له قرواش: بل أنت الأخ، والأمر لك مُسلَّم، وأنت أقْوَم به منّي. وصلح الحال بينهما، وعاد قرواش إلى التصرّف على حكم اختياره.

وكان أبو كامل قد أقطع بلال بن غريب بن مقن حَرَبَى، وأوَانَا، فلمّا اصطلح أبو كامل وقرواش أرسلا إلى حَرَبَى من منع بلالاً عنها، فتظاهر بلال (بالخلاف عليهما)[1]، وجمع إلى نفسه جمعاً وقاتل أصحاب قرواش، وأخذ حَرَبَى وأوَانَا بغير اختيارهما، فانحدر قرواش من الموصل إليهما وحصرهما وأخذهما.

ذكر مسير الملك الرحيم إلى شيراز وعوده عنها

في هذه السنة، في المحرّم، سار الملك الرحيم من الأهواز إلى بلاد فارس، فوصلها، وخرج عسكر شِيراز إلى خدمته، ونزل بالقرب من شِيراز ليدخل البلد.

ثم إنّ الأتراك الشِّيرازيّين والبَغداذيّين اختلفوا، وجَرى بينهم مناوشة استظهر فيها البغداذيّون، وعادوا إلى العراق، فاضطرّ الملك الرحيم إلى المسير معهم، لأنّه لم يكن يثق بالأتراك[2] الشيرازيّة.

وكان دَيْلم بلاد فارس قد مالوا إلى أخيه فولاستون، وهو بقلعة إصْطَخْرَ، فهو

---

(١) في الباريسية: «عليها».

(٢) في الأوربية «إلى الأتراك».

أيضاً منحرف عنهم، فاضطرّ إلى صُحْبة البغداذيّين فعاد، في ربيع الأوّل من هذه السنة، إلى الأهواز وأقام بها، واستخلف بأرّجَانَ أخوَيْه أبا سعد، وأبا طالب، ووقع الخُلْف بفارس، فإنّ الأمير أبا منصور، فولاستون، كان قد خلص وصار بقلعة إصْطَخْر، واجتمع معه جماعة من أعيان العسكر الفارسيّ، فلمّا عاد الملك الرحيم إلى الأهواز انبسط في البلاد، وقصده كثير من العساكر، واستولى على بلاد فارس، ثم سار إلى أرّجانَ عازماً على قصْد الأهواز وأخْذها[1].

ذكر الحرب بين البساسيريّ وعُقيل

في هذه السنة سار جَمْعٌ من بني عُقيل إلى بلد العجم من أعمال العراق وبَادُوريا[2]، فنهبوهما، وأخذوا من الأموال الكثير، وكانا في إقطاع البساسيري، فسار من بغداذ بعد عَوده من فارس إليهم، فالتقوا هم وزعيم الدولة أبو كامل بن المقلّد، واقتتلوا قتالاً شديداً أبلى الفريقان فيه بلاء حسناً، (وصبرا صبراً جميلاً، وقُتل جماعة من الفريقَيْن)[3].

ذكر الوحشة بين طُغْرُلْبَك وأخيه إبراهيم يَنّال

في هذه السنة استوحش إبراهيم يَنّال من أخيه السلطان طُغْرُلْبك.

وكان سبب ذلك أنّ طُغْرُلْبك طلب من إبراهيم يَنّال أن يسلّم إليه مدينة هَمَذان (والقلاع التي بيده من بلد الجبل)[4]، فامتنع من ذلك، واتّهم وزيره أبا علي بالسَّعْي بينهما في الفساد، فقبض عليه، وأمر به فضُرب بين يديه، وَسمَلَ إحدى عينَيْه، وقطع شَفتَيْه، وسار عن طُغْرُلْبك، وجمع جمعاً من عسكره، والتقيا، وكان بين العسكرَيْن قتالٌ شديد انهزم [فيه] يَنّال وعاد منهزماً، فسار طُغْرُلْبك في أثره، فملك قلاعه وبلاده جميعها.

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٥، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٤.

(٢) في (أ): «باذوريا».

(٣) من (أ).

(٤) في (أ): «الجيل».

وتحصّن إبراهيم يَنّال بقلعة سَرماج، وامتنع على أخيه، فحصره طُغْرُلْبك فيها، وكانت عساكره قد بلغت مائة ألف من أنواع العسكر، وقاتله، فملكها في أربعة أيّام، وهي من أحصن القلاع وأمنعها، واستنزل ينّال منها مقهوراً، وأرسل إلى نصر الدولة ابن مروان يطلب منه إقامة الخطبة له في بلاده، فأطاعه وخطب له في سائر ديار بكر، وراسل ملك الروم طُغْرُلْبك، وأرسل إليه هديّة عظيمة، وطلب منه المعاهدة، فأجابه إلى ذلك.

وأرسل ملك الروم إلى ابن مروان يسأله أن يسعى في فداء ملك الأبخاز المقدّم ذكره، فأرسل نصر الدولة شيخَ الإسلام أبا عبدالله بن مروان في المعنى إلى السلطان طُغْرُلبك، فأطلقه بغير فداء، فعظم ذلك عنده وعند ملك الروم، وأرسل عِوَضه من الهدايا شيئاً كثيراً[1]، وعمّروا مسجد القُسطنطينيّة، وأقاموا فيه الصَّلاة والخطبة لطُغْرُلْبك، ودان حينئذٍ الناس كلّهم له، وعظُم شأنه، وتمكّن ملْكه وثبت.

ولمّا نزل يَنّال إلى طُغْرُلْبك أكرمه وأحسن إليه، وردّ عليه كثيراً ممّا أخذ منه، وخيّره بين أن يُقْطعه بلاداً يسيرُ إليها، وبين أن يقيم معه، فاختار المقام[2] معه.

ذكر الحرب بين دُبَيْس بن مَزْيد وعسكر واسط

في هذه السنة كانت حرب شديد بين نور الدولة دُبيس بن مَزيد وبين الأتراك الواسطيّين.

وسبب ذلك أنّ الملك الرحيم أقطع نور الدولة حماية نهر الصِّلة، ونهر الفَضل، وهما من إقطاع الواسطيّين، فسار إليهما ووليهما[3]، فسمع عسكر واسط ذلك فسخطوه، واجتمعوا وساروا إلى نور الدولة ليقاتلوه ويدفعوه عنهما، وأرسلوا إليه يتهدّدونه، فأعاد الجواب يقول: إنّ الملك أقطعني هذا، فنُرسل إليه أنا وأنتم، فبأيّ شيء أمر رضينا به. فسبّوه، وساروا مُجِدّين إليه، فأرسل إلى طريقهم طائفة من

---

(١) تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٩.
(٢) في (أ): «الإقامة».
(٣) في الأوربية: «إليها ووليها».

عسكره، فلقوهم، وكمن لهم، فلمّا التقوا استجرّهم العرب إلى أن جاوزوا الكمين، (وخرج عليهم الكمين)[1] فأوقعوا بهم، وقتلوا منهم جماعة كثيرة، وأسروا كثيراً، وجُرح مثلهم، وتمّت الهزيمة على الواسطيّين، وغنم نور الدولة أموالهم ودوابّهم، وساروا إلى واسط فنزلوا بالقرب منها.

وأرسل الواسطيّون إلى بغداذ يستنجدون جُنْدها، ويبذلون للبساسيريّ أن يدفع عنهم نور الدولة، ويأخذ نهر الصِّلة ونهر الفَضل لنفسه.

ذكر وفاة مودود بن مسعود وملك عمّه عبد الرشيد

في هذه السنة، في العشرين من رجب، تُوُفّي أبو الفتح مودود بن مسعود[2] بن محمود بن سُبُكْتِكِين، صاحب غَزْنة، وعُمره تسعٌ وعشرون سنة، وملكه تسع سنين وعشرة أشهر، وكان موته بغَزْنة، وكان قد كاتب أصحاب الأطراف في سائر البلاد، ودعاهم إلى نُصْرته وإمداده بالعساكر، وبذل لهم الأموال الكثيرة، وتفويض أعمال خُراسان ونواحيها إليهم على قدر مراتبهم، فأجابوا إلى ذلك منهم أبو كاليجار، صاحب أصبهان، فإنّه جمع عساكره وسار في المفازة، فهلك كثير من عسكره، ومرض وعاد.

ومنهم خاقان ملك التُّرك، فإنّه سار إلى تِرمِذ، ونهب وخرّب، وصادر أهل تلك الأعمال، وسارت طائفة أخرى مّما وراء النهر إلى خُوارزم.

وسار مودود من غَزْنة، فلم يسر غير مرحلةٍ واحدة حتّى عارضه قُولَنج اشتدّ عليه، فعاد إلى غَزْنة مريضاً، وسيّر وزيرَه أبا الفتح عبد الرزّاق بن أحمد المِيمَنْديَّ إلى سِجستان في جيش كثيف لأخذها من الغُزّ، واشتدّت[3] العلّة بمودود فتوفّي، وقام في المُلْك بعده ولده، فبقي خمسة أيّام، ثم عدل الناس عنه إلى عمّه عليّ بن مسعود.

---

(١) من الباريسية.

(٢) انظر عن (مودود بن مسعود) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٥٦، ٥٧ رقم ٢٩ وفيه مصادر ترجمته، ويضاف إليها: زبدة التواريخ ٤٧ وما بعدها.

(٣) في طبعة صادر ٩/٥٥٨ «واشدّت» وهي خطأ.

وكان مودود لمّا ملك قبض على عمّه عبد الرشيد بن محمود وسجنه في قلعة مَيدين[1]، بطريق بُست، فلمّا توفّي كان وزيره قد قارب هذه القلعة، فنزل عبد الرشيد إلى العسكر ودعاهم إلى طاعته، فأجابوه وعادوا معه إلى غَزْنة، فلمّا قاربها هرب عنها عليُّ بن مسعود، وملك عبد الرشيد، واستقرّ الأمر له، ولُقّب شمس دين الله سيف الدولة، وقيل جمال الدولة[2]، ودفع الله شرّ مودود عن داود، وهذه السعادة التي تقتل الأعداء بغير سلاح ولا أجناد.

ذكر استيلاء البساسيريّ على الأنبار

في هذه السنة أيضاً، في ذي القعدة، ملك البساسيريُّ الأنبار، ودخلها أصحابه.

وكان سبب ملكها أنّ قِرواشاً أساء السيرة في أهلها، ومدّ يده إلى أموالهم، فسار جماعة من أهلها إلى البساسيريّ ببغداذ، وسألوه أن ينفذ معهم عسكراً يسلّمون إليه الأنبار، فأجابهم إلى ذلك، وسيّر معهم جيشاً، فتسلّموا الأنبار، ولحِقهم البساسيريُّ وأحسن إلى أهلها وعدل فيهم، ولم يمكّن أحداً من أصحابه أن يأخذ رطْل الخبز بغير ثمنه، وأقام فيها إلى أن أصلح حالها وقرّر قواعدها، وعاد إلى بغداذ.

ذكر انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس

في هذه السنة عاد الملك الرحيم من الأهواز إلى رامَهُرْمُز في ذي القعدة، فلمّا وصل إلى وادي المِلح لقيه عسكر فارس، واقتتلوا (قتالاً شديداً، فغدر بالملك الرحيم بعض عسكره)[3]، وانهزم هو وجميع العسكر، ووصل إلى بَصِنّى ومعه أخواه أبو سعد وأبو طالب، وسار منها إلى واسط، وسار عسكر فارس إلى الأهواز، فملكوها وخيّموا بظاهرها.

---

(١) في الباريسية: «مدن».

(٢) نهاية الأرب ٢٦/٧٦، ٧٧.

(٣) من (أ).

ذكر عدّة حوادث

وفيها وصل عسكر من مصر إلى حلب، وبها صاحبها ثَمَال بن صالح بن مِرداس، فخافهم لكثرتهم، فانصرف عنها، فملكها المصريّون[(١)].

وفيها، في ذي القعدة، ارتفعت سحابة سوداء مظلمة ليلاً، فزادت ظلمتها على ظلمة الليل، وظهر في جوانب السماء كالنار المضطّرمة، (وهبّت معها ريح شديدة قلعت رواشن دار الخليفة)[(٢)]، وشاهد الناس من ذلك ما أزعجهم وخوّفهم، فلزِموا الدعاء والتّضرُّع، فانكشفت في باقي الليل[(٣)].

وفيها، في شعبان، سار البساسيريُّ من بغداذ إلى طريق خُراسان، وقصد ناحية الدّزْدار وملكها وغنم ما فيها، وكان سعْدي بن أبي الشوك قد ملكها، وقد عمل لها سوراً وحصّنها، وجعلها معقلاً يتحصّن فيه، ويدّخر بها كلّ ما يغنمه، فأخذه البساسيريُّ جميعه.

وفيها مُنع أهل الكرْخ من النَّوح، وفِعْل ما جرت عادتهم بفِعله يوم عاشوراء، فلم يقبلوا[(٤)] وفعلوا ذلك، فجرى بينهم وبين السُّنّة فتنة عظيمة قُتل فيها وجُرح كثير من الناس، ولم ينفصل الشرّ بينهم حتّى عبر الأتراك وضربوا خيامهم عندهم، فكفّوا حينئذٍ، ثم شرع أهل الكرْخ في بناء سور على الكرْخ، فلمّا رآهم السُّنّة من القلاّئين ومن يجري مجراهم شرعوا في بناء سور على سوق القلاّئين، وأخرج الطّائفتان في العمارة مالاً جليلاً، وجرت بينهما فِتَنٌ كثيرة، وبطلت الأسواق، وزاد الشرّ، حتّى انتقل كثير من الجانب الغربيّ إلى الجانب الشرقيّ فأقاموا به، وتقدّم الخليفة إلى أبي محمّد بن النَّسويّ بالعبور وإصلاح الحال وكفّ الشرّ، فسمع أهل الجانب الغربيّ

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب ١/٢٦٥، ٢٦٦، المختصر في أخبار البشر ٢/١٧٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٥، تاريخ ابن الوردي ١/٣٥٢، البداية والنهاية ١٢/٥٩، إتعاظ الحنفا ٢/٢١٣، وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١١٢.

(٢) من الباريسية.

(٣) المنتظم ٨/١٤٢ (١٥/٣٢١)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٦، البداية والنهاية ١٢/٥٩، تاريخ الخميس ٢/٣٩٩، ٤٠٠.

(٤) في الباريسية: «يفعلوا».

ذلك، فاجتمع السُّنّة والشيعة (على المنع)[1] منه، وأذّنوا في القلاّئين وغيرها بحيّ على خير العمل، وأذّنوا في الكرْخ: الصَّلاةُ خيرٌ من النوم؛ وأظهروا الترحّم على الصحابة، فبطل عبوره[2].

[الوَفَيَات]

وفيها تُوُفّي أبو عبدالله محمّد بن عليّ بن عبدالله الصُّوريُّ[3] الحافظ، كان إماماً صحِب عبد الغني بن سعيد، وتخرّج به، ومن تلامذته الخطيب أبو بكر.

وفيها تُوُفّي الملك العزيز أبو منصور[4] بن جلال الدولة، وقد ذكرنا تنقّل الأحوال به فيما تقدّم، وله شِعْر حَسَن.

وفيها توفّي أحمد بن محمّد بن أحمد أبو الحسن العتيقيُّ[5]، نُسب إلى جدٍّ له يسمّى عتيقاً، ومولده سنة سبْعٍ وستّين وثلاثمائة.

وفيها تُوفّي أبو الفائز[6] عبد الوهّاب ابن أقضى القضاة أبي الحسن الماورديّ، وكانت شهادته سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وقبِلها القاضي في بيت النُّوبة، ولم يفعل ذلك مع غيره، وإنّما فعل معه هذا احتراماً لأبيه.

---

(١) من الباريسية.

(٢) المنتظم ٨/ ١٤١، ١٤٢ (١٥/ ٣١٩، ٣٢٠)، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ - ٤٦٠ هـ.) ص ٦، دول الإسلام ١/ ٢٥٩، العبر ٣/ ١٩٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥١.

(٣) انظر عن (الصوريّ) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ - ٤٦٠ هـ.) ص ٥٢ - ٥٦ رقم ٢٧ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته، وانظر ترجمة موسعة له أفردتها في مقدمة كتاب (الفوائد العوالي المؤرخة) للتنوخي، في ٣٢ صفحة لم أُسبق إليها، وفيها مصادر أخرى.

(٤) في طبعة صادر ٩/ ٥٦١ «أبو بكر منصور»، والتصويب من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٤١ - ٤٦٠ هـ.) ص ٤٣، ٤٤ رقم ١٢.

(٥) انظر عن (العتيقي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ - ٤٦٠ هـ.) ص ٤٠، ٤١ رقم ٥ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٦) في طبعة صادر ٩/ ٥٦١ «أبو القاسم»، والتصحيح من (أ)، ومن: المنتظم ٨/ ١٤٣ رقم ١٩٨ (١٥/ ٣٢٢ رقم ٣٢٩٢)، والبداية والنهاية ١٢/ ٦٠.

٤٤٢
ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

ذكر ملك طُغْرُلْبَك أصبهان

كان أبو منصور بن علاء الدولة، صاحب أصبهان، غير ثابتٍ على طريقةٍ واحدةٍ مع السلطان طُغْرُلْبَك، كان يكثر التلوّن معه، تارة يطيعه وينحاز إليه، وتارة ينحرف عنه ويطيع الملك الرحيم، فأضمر له طُغْرُلْبك سوءاً، فلمّا عاد[1] هذه الدفعة من خُراسان لأخذ البلاد الجبليّة من أخيه إبراهيم يَنّال، واستولى عليها، على ما ذكرناه، عدل إلى أصبهان عازماً على أخذها من أبي منصور، فسمع ذلك، فتحصّن ببلده، واحتمى بأسواره، ونازله طُغْرُلْبك في المحرّم، وأقام على محاصرته نحو سنة، وكثرت الحروب بينهما، إلاّ أن طُغْرُلْبك قد استولى على سواد البلد، وأرسل سريّة من عسكره نحو فارس، فبلغوا إلى البيضاء، فأغاروا على السواد هناك وعادوا غانمين.

ولمّا طال الحصار على أصبهان، وأخرب أعمالها، ضاق الأمر بصاحبها وأهلها، وأرسلوا إليه يبذلون له الطّاعة والمال، فلم يُجِبْهم إلى ذلك، ولم يقنع منهم إلاّ بتسليم البلد، فصبروا حتّى نفدت الأقوات، وامتنع الصبر، وانقطعت الموادّ، واضطرّ الناس حتّى نقضوا الجامع، وأخذوا أخشابه لشدّة الحاجة إلى الحطب، فحيث بلغ بهم الحال إلى هذا الحدّ خضعوا له واستكانوا، وسلّموا البلد إليه فدخله وأخرج أجناده منه وأقطعهم في بلاد الجبل، وأحسن إلى الرعيّة، وأقطع صاحبها أبا منصور ناحيتَيْ يَزْد وأبرقوية، وتمكّن من أصبهان ودخلها في المحرّم من سنة ثلاثٍ وأربعين [وأربعمائة] واستطابها، ونقل ما كان له بالرَّيّ من مال وذخائر وسلاح إليها، وجعلها

---

(١) في (أ): «سار».

دار مقامه، وخرّب قطعة من سورها، وقال: وإنّما يحتاج إلى الأسوار مَن تضعف قوّته، فأمّا من حِصْنُه عساكره وسيفه فلا حاجة به[1] إليها[2].

ذكر عَود عساكر فارس من الأهواز وعَود[3] الرحيم إليها

في هذه السنة، في المحرّم، عادت عساكر فارس التي مع الأمير أبي منصور صاحبها عن الأهواز إلى فارس.

وسبب هذا العود أنّ الأجناد اختلفوا، وشغبوا، واستطالوا وعاد بعضهم إلى فارس بغير أمر صاحبهم، وأقام بعضهم معه، وسار بعضهم إلى الملك الرحيم، وهو بالأهواز، يطلبونه ليعود إليهم، فعاد فيمن عنده من العساكر، وأرسل إلى بغداذ يأمر[4] العساكر التي فيها بالحضور عنده ليسير بهم إلى فارس، فلمّا وصل إلى الأهواز لقيه العساكر مُقرّين بالطاعة، وأخبروه بطاعة عساكر فارس، وأنّهم ينتظرون قدومه، فدخل الأهواز في شهر ربيع الآخر، فتوقّف بالأهواز ينتظر عساكر بغداذ، ثم سار عنها إلى عسكر مُكرم فملكها وأقام بها.

ذكر استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، استولى زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلّد على أخيه قرواش، وحجر عليه، ومنعه من التصرّف على اختياره.

وسبب ذلك أنّ قرواشاً كان قد أنِف من تحكّم أخيه في البلاد، وأنّه قد صار لا حكم له، فعمل على الانحدار إلى بغداذ ومفارقة أخيه، وسار عن الموصل، فشُقّ ذلك على بركة وعظُم عنده.

---

(١) في الأوربية: «له».

(٢) الإنباء في تاريخ الخلفاء ١٨٨، تاريخ الفارقي ١/ ١٥٥، تاريخ مختصر الدول ١٨٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٨، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥١، البداية والنهاية ١/ ٦١، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٥.

(٣) في (أ): «ومسير».

(٤) في الباريسية: «بأمر».

ثمّ أرسل إليه نفراً من أعيان أصحابه يشيرون عليه بالعود، واجتماع الكلمة، ويحذّرونه من الفرقة والاختلاف، فلمّا بلّغوه ذلك امتنع عليهم، فقالوا: أنت ممنوع عن فعلك، والرأي لك القبول والعود ما دامت الرغبة[1] إليك؛ فعلم حينئذٍ أنّه يُمنع قهراً، فأجاب إلى العود على شرط أن يسكن دار الإمارة بالموصل، وسار معهم. فلمّا قارب حلّة أخيه زعيم الدولة لقيه، وأنزله عنده، فهرب أصحابه وأهله خوفاً، فأمّنهم زعيم الدولة، وحضر عنده وخدمه وأظهر له الخدمة، وجعل عليه من يمنعه من التصرّف على اختياره.

ذكر استيلاء الغُزّ على مدينة فَسَا

وفيها، في جُمادى الآولى، سار الملك ألْب أرسلان بن داود أخي طُغْرُلْبك من مدينة مرو بخُراسان، وقصد بلاد فارس في المفازة، فلم يعلم به أحد، ولا أعلم عمّه طُغْرُلْبك، فوصل إلى مدينة فَسَا، فانصرف النائب بها من بين يديه، ودخلها ألْب أرسلان فقتل من الدّيلم بها ألف رجل، وعدداً كثيراً من العامّة، ونهبوا ما قدرُهُ ألف ألف دينار، وأسروا ثلاثة آلاف إنسان، وكان الأمر عظيماً. فلمّا فرغوا من ذلك عادوا إلى خُراسان، ولم يلبثوا خوفاً من طُغْرُلبك أن يرسل إليهم، ويأخذ ما غنموه منهم.

ذكر استيلاء الخوارج على عُمان

في هذه السنة استولى الخوارج المقيمون بجبال عُمان على مدينة تلك الولاية.

وسبب ذلك أنّ صاحبها الأمير أبا المظفّر ابن الملك أبي كاليجار كان مقيماً بها، ومعه خادم له قد استولى على (الأمور، وحكم على)[2] البلاد، وأساء السيرة في أهلها، فأخذ أموالهم، فنفروا منه وأبغضوه.

وعرف إنسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال، فجمع مَن عنده منهم فقصد المدينة، فخرج إليه الأمير أبو المظفّر في عساكره، فالتقوا واقتتلوا، فانهزمت الخوارج وعادوا إلى موضعهم.

---

(١) في الباريسية: «الرعية».

(٢) من الباريسية:

وأقام ابن راشد مدّةً يجمع ويحتشد، ثم سار ثانياً، وقاتله الديلم، فأعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم، فانهزم الديلم، وملك ابن راشد البلد وقتل الخادم وكثيراً من الديلم، وقبض على الأمير أبي المظفّر وسيّره إلى جباله مستظهراً عليه، وسجن معه كلّ من خطّ بقلم من الديلم، وأصحاب الأعمال، وأخرب دار الإمارة، وقال: هذه أحقّ دار بالخراب! وأظهر العدل، وأسقط المكوس، واقتصر على رفع[١] عُشر ما يَرِد إليهم، وخطب لنفسه، وتلقّب بالراشد بالله، ولبس الصوف، وبنى[٢] موضعاً على شكل مسجد، وقد كان هذا الرجل تحرّك أيضاً أيّام أبي القاسم (بن مُكرم)[٣] فسيّر إليه أبو القاسم من منعه وحصره وأزال طمعه.

ذكر دخول العرب إلى إفريقية

في هذه السنة دخلت العرب إلى إفريقية

وسبب ذلك أنّ المعزّ بن باديس كان خطب للقائم بأمر الله الخليفة العبّاسيّ وقطع خطبة المستنصر العلويّ، صاحب مصر، سنة أربعين وأربعمائة، فلمّا فعل ذلك كتب إليه المستنصر العلويُّ يتهدّده، فأغلظ المعزُّ في الجواب.

ثمّ إنّ المستنصر استوزر الحسن بن عليّ اليازوريَّ، ولم يكن من أهل الوزارة، إنّما كان من أهل التّناية[٤] والفلاحة، فلم يخاطبه المعزُّ كما كان يخاطب مَن قبلَهُ من الوزراء؛ كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازوريَّ بصنيعته، فعظُم ذلك عليه، فعاتبه فلم يرجع إلى ما يحبّ، فأكثر الوقيعة في المعزّ، وأغرى به المستنصر، وشرعوا في إرسال العرب إلى الغرب، فأصلحوا بني زُغبة[٥] ورياح، وكان بينهم حروب وحقود، وأعطوهم مالاً، وأمروهم بقصد بلاد القَيروان، وملّكوهم كلَّ ما[٦] يفتحونه،

---

(١) في (أ): «ربع».

(٢) في الأوربية «وبنا».

(٣) من (أ).

(٤) في طبعة صادر ٥٦٦/٩ «التبانة»، والتصحيح من: نهاية الأرب، وهي: الزراعة. ووردت على الصحيح في الطبعة الأوربية.

(٥) في الباريسية: «رغبة»، وفي (أ): «زعبة».

(٦) في الأوربية: «كلّما».

ووعدوهم بالمدد والعُدد. فدخلت العرب إلى إفريقية، وكتب اليازوريُّ إلى المعزّ: أمّا بعد، فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً. وحملنا عليها رجالاً كهولاً. ليقضي الله أمراً كان مفعولاً... فلمّا حلّوا أرض بَرْقة وما والاها وجدوا بلاداً كثيرة المَرعى خالية من الأهل لأنّ زناتة كانوا أهلها، فأبادهم المعزُّ، فأقامت العرب بها واستوطنتها، وعاثوا في أطراف البلاد. وبلغ ذلك المعزَّ فاحتقرهم[1].

وكان المعزُّ لمّا رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد، وأوسع[2] لهم في العطاء، فاجتمع له ثلاثون ألف مملوك. وكانت عرب[3] زُغبة[4] قد ملكت مدينة طرابلس سنة ستّ وأربعين [وأربعمائة]، فتتابعت رياح والأثبج[5] وبنو عديّ إلى إفريقية، وقطعوا السبيل وعاثوا في الأرض[6]، وأرادوا الوصول إلى القَيروان، فقال مؤنس بن يحيى المرداسيُّ: ليس المبادرة عندي برأي؛ فقالوا: كيف تحبّ أن تصنع؟ فأخذ بساطاً فبسطه، ثم قال لهم: من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشي عليه؟ قالوا: لا نقدر على ذلك! قال: فهكذا القَيروان، خذوا شيئاً فشيئاً حتّى لا يبقى إلاّ القَيروان فخذوها حينئذٍ. فقالوا: إنّك لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدّم علينا، ولسنا نقطع أمراً دونك.

ثم قدم أمراء العرب إلى المعزّ، فأكرمهم وبذل لهم شيئاً كثيراً، فلمّا خرجوا من عنده لم يجازوه بما فعل من الإحسان، بل شنّوا الغارات، وقطعوا الطريق، وأفسدوا الزروع، وقطعوا الثمار، وحاصروا المدن، فضاق بالناس الأمر، وساءت أحوالهم، وانقطعت أسفارهم، ونزل بإفريقية بلاء لم ينزل بها مثله قطّ، فحينئذٍ[7] احتفل المعزُّ، وجمع عساكره، فكانوا ثلاثين ألف فارس، ومثلها رَجّالة، وسار حتّى أتى جندران، وهو جبل بينه وبين القَيروان ثلاثة أيّام، وكانت عدّة العرب ثلاثة آلاف فارس، فلمّا

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/ ٢١٠، ٢١١، تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٣١.
(٢) في (أ): «ووسع».
(٣) في الأوربية: «العرب».
(٤) في (أ): «زعبة»، وفي الباريسية: «رغبة».
(٥) في الباريسية: «الآنح»، وفي (أ): «الابتج».
(٦) في (أ): «البلاد».
(٧) في (أ): «فعند ذلك».

رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعزّ هالهم ذلك، وعظم عليهم، فقال لهم مؤنس بن يحيى: ما هذا يوم فِرار؛ فقالوا: اين نَطْعُنُ هؤلاء وقد لبسوا الكُزَاغَنْدات والمغافر؟ قال: في أعينهم؛ فسُمّي ذلك اليوم يوم العين[1].

والتحم القتال، واشتدّت الحرب، فاتّفقت صنهاجة على الهزيمة، وترك المعزّ مع العبيد حتّى يرى فعلهم، ويقتل أكثرهم، فعند ذلك يرجعون على العرب، فانهزمت صنهاجة، وثبت العبيد مع المعزّ، فكثُر القتل فيهم، فقُتل منهم خلق كثير، وأرادت صنهاجة الرجوع على العرب، فلم يمكنهم ذلك، واستمرّت[2] الهزيمة، وقُتل من صنهاجة أمّةٌ عظيمة، ودخل المعزُّ القَيروان مهزوماً، على كثرة مَن معه، وأخذت العرب الخيل والخيام وما فيها من مالٍ وغيره، وفيه يقول بعض الشعراء[3]:

وإنّ ابنَ باديسٍ لأفضَلُ[4] مالِكٍ، ولكن لعَمْري[5] ما لَديَهِ رجالُ
ثلاثون ألفاً منهُمُ غلبتْهُمُ ثلاثةُ ألفٍ إنَّ ذا لَمُحالُ[6]

ولمّا كان يوم النحر من هذه السنة جمع المعزُّ سبعة وعشرين ألف فارس وسار إلى العرب جريدة، وسبق خبرَه، وهجم عليهم وهم في صلاة العيد، فركبت العرب خيولهم وحملتْ، فانهزمت صنهاجة، فقُتل منهم عالم كثير.

ثم جمع المعزُّ وخرج بنفسه في صنهاجة وزناتة في جمع كثير، فلمّا أشرف على بيوت العرب، وهو قبليّ جبل جَندران، (انتشب القتال)[7]، واشتعلت نيرأن الحرب، وكانت العرب سبعة آلاف فارس، فانهزمت (صنهاجة وولّى كلّ رجل منهم إلى منزله، وانهزمت)[8] زناتة، وثبت المعزُّ فيمن معه من عبيده ثباتاً عظيماً لم يُسمع بمثله، ثم

---

(١) في (أ): «العينين»، وفي نهاية الأرب ٢٤/ ٢١٥ «أبا العينين».
(٢) في (أ): «واشتهرت».
(٣) هو: علي بن رزق الرياحي، وأو ابن شداد، كما في: البيان المغرب ١/ ٤٢٠، تاريخ ابن خلدون ٦/ ٣٣.
(٤) في تاريخ الفتح العربي في ليبيا للطاهر الزاوي ٢٠٠ «لأحزم».
(٥) في تاريخ ابن خلدون ٦/ ٣٣ «العمري ولكن».
(٦) ورد بصيغ مختلفة في: البيان المغرب، وتاريخ ابن خلدون، والفتح العربي.
(٧) في الباريسية: «فاست العرب».
(٨) من الباريسية.

انهزم وعاد إلى المنصوريّة، وأُحصي من قُتل من صنهاجة ذلك اليوم، فكانوا ثلاثة آلاف وثلاثمائة.

ثم أقبلت العرب حتّى نزلت بمصلّى القَيروان، ووقعت الحرب، فقُتل من المنصورية ورَقّادة خلق كثير، فلمّا رأى ذلك المعزُّ أباحهم دخول القَيروان لما يحتاجون إليه من بيع وشراء، فلمّا دخلوا استطالت عليهم العامّة، ووقعت بينهم حرب كان سببها فتنة بين إنسان عربيّ وآخر عاميّ وكانت الغَلَبَة للعرب[1].

وفي سنة أربعٍ وأربعين [وأربعمائة] بُني سور زَوِيلة والقَيروان، وفي سنة ستّ وأربعين حاصرت العرب القَيروان، وملك مؤنس بن يحيى مدينة بَاجَةَ، وأشار المعزُّ على الرعيّة بالانتقال إلى المهديّة لعجزه عن حمايتهم من العرب.

وشرعت العرب في هدم الحصون والقصور، وقطعوا الثمار[2]، وخربّوا الأنهار، وأقام المعزُّ والناس ينتقلون إلى المهديّة إلى سنة تسعٍ وأربعين، فعدنها انتقل المعزُّ إلى المهديّة في شعبان، فتلقّاه ابنه تميم، ومشى بين يديه[3]، وكان أبوه قد ولاّه المهديّة سنة خمسٍ وأربعين، فأقام بها إلى أن قِدم أبوه الآن.

وفي رمضان من سنة تسعٍ وأربعين نهبت العرب القَيروان[4].

وفي سنة خمسين خرج بُلُكّين[5] ومعه العرب زناتة، فقاتلهم، فانهزمت زناتة وقُتل منها عدد كثير[6].

وفي سنة ثلاثٍ وخمسين (وقعت الحرب بين العرب وهوارة، فانهزمت هوارة وقُتل منها الكثير.

وفي سنة ثلاثٍ وخمسين)[7] قتل أهل تَقْيُوس من العرب مائتَيْن وخمسين رجلاً،

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/ ٢١٢ ـ ٢١٦، البيان المغرب ١/ ٤٢٠، ٤٢٦، تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٣١.

(٢) في (أ): «الأشجار».

(٣) نهاية الأرب ٢٤/ ٢١٧.

(٤) نهاية الأرب ٢٤/ ٢١٧.

(٥) في الباريسية: «ملكن».

(٦) نهاية الأرب ٢٤/ ٢١٧.

(٧) ما بين القوسين من (أ).

وسبب ذلك أنّ العرب دخلت المدينة متسوّقة، فقتل رجل من العرب رجلاً متقدّماً من أهل البلد، لأنّه سمعه يُثني على المعزّ ويدعو له، فلمّا قُتل ثار أهل البلد بالعرب، فقتلوا منهم العدد المذكور.

وكان ينبغي أن يأتي كلّ شيء من ذلك في السنة التي حدث فيها، وإنّما أوردناه متتابعاً ليكون أحسن لسياقته، فإنّه إذا انقطع وتخّللته الحوادث في السنين لم يُفهم.

ذكر عدّة حوادث

فيها سار المُهلهِل بن محمّد بن عنّاز أخو أبي الشوك إلى السلطان طُغْرُلْبك، فأحسن إليه وأقرّه على إقطاعه، ومن جملته السِّيروان، ودَقُوقا، وشَهرزُور، والصَّامَغَان، وشفّعه في أخيه سُرخاب بن محمّد بن عنّاز، وكان محبوساً عند طُغْرُلْبك، وسار سُرخاب إلى قلعة الماهكي، وهي له، وأقطع سعدي بن أبي الشوك الراوندَيْن.

وفيها قبض المستنصر بمصر على أبي البركات عمّ أبي القاسم الجَرْجَرائيّ، واستوزر القاضي أبا محمّد الحسن بن عبد الرحمن اليازوريّ[1]، ويازور: من أعمال الرَّملة.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبدالله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله أبو الحسين، ومولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

وفيها، في شعبان، توفّي أبو الحسن عليُّ بن عمر القزوينيُّ[2]، الزاهد، وكان من الصالحين، روى الحديث، والحكايات، والأشعار، وروى عن ابن نُباتة شيئاً من شعره، فمن ذلك قال ابن نُباتة:

---

(١) أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٢، أخبار الدول المنقطعة ٧٨، الإشارة إلى من نال الوزارة ٣٨، ٣٩.

(٢) انظر عن (القزويني) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٦٤ ـ ٦٨ رقم ٤٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وإذا عجــزتَ عــن العــدوّ فــدارِهِ، وامـــزُجْ لـــه، إنّ المِـــزاجَ وِفـــاقُ
فــالنــارُ بــالمــاء الــذي هــو ضــدُّهــا تُعطــي النِّضــاج وطبعُهــا[1] الإحــراقُ

وفيها، في ذي القعدة، توفّي أبو القاسم عمر بن ثابت النَّحْويُّ الضّرير، المعروف بالثمانينيّ[2].

(١) في الباريسية: «وضدّها».
(٢) انظر عن (الثمانيني) في: تاريخ الإسلام (٤٤١- ٤٦٠ هـ.) ص ٦٨، ٦٩ رقم ٥٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٤٣
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

ذكر نهب سُرّق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامَهُرمُز

وفيها، في المحرّم، اجتمع جمع كثير من العرب والأكراد، وقصدوا سُرَّقَ (من خُوزستان)[١]، ونهبوها، ونهبوا دُورَق، ومقدّمهم مطارد بن منصور، ومذكور بن نزار، فأرسل إليهم الملك الرحيم جيشاً، ولقوهم بين سُرَّقَ وُدورَق، فاقتتلوا، فقُتل مطارد وأُسر ولده، وكثر القتل فيهم، واستنقذوا ما نهبوه، ونجا الباقون على أقبح صورة من الجراح والنهب، فلمّا تمّ هذا الفتح للملك الرحيم انتقل من عسكر مُكرَم متقدّماً إلى قَنطرة أرْبَقَ، ومعه دُبيس بن مَزْيَد والبساسيريُّ وغيرهما.

ثـم إنّ (الأمير أبا منصور، صاحب فارس)[٢]، وهزارسب بن بنكير[٣]، ومنصور بن الحسين الأسديّ، ومن معهما من الديلم والأتراك، ساروا من أرّجان يطلبون تُستَر، فسابقهم الرحيم إليها، وحال بينهم وبينها، والتقت الطلائع، فكان الظفر لعسكر الرحيم.

ثم إنّ الإرجاف وقع في عسكر هزارسب بوفاة الأمير أبي منصور ابن الملك أبي كاليجار بمدينة شِيراز، فسُقط في أيديهم وعادوا، وقصد كثير منهم الملك الرحيم فصاروا معه، فسيّر قطعة من الجيش إلى رامَهُرمُز، وبها أصحاب هزارسب، وقد أفسدوا في تلك الأعمال، فلمّا وصل إليها[٤] عسكر الرحيم خرج أولئك إلى قتالهم،

---

(١) من (أ).

(٢) من (أ).

(٣) في (أ): «منكر».

(٤) في الباريسية: «إليهم».

فاقتتلوا قتالاً شديداً أُكثر فيه القتل والجراح، (ثم انهزم أصحاب هزارسب فدخلوا البلد وحُصروا فيه)[1]، ثم ملك البلد عَنوةً، ونهب وأسر جماعة من العساكر التي فيه، وهرب كثير منهم إلى هزارسب، وهو بإيذج، وملك الملك الرحيم البلد في ربيع الأوّل من هذه السنة.

ذكر ملك الملك الرحيم إصطخر وشيراز

في هذه السنة سيّر الملك الرحيم أخاه الأمير أبا سعد في جيش إلى بلاد فارس.

وكان سبب ذلك أنّ المقيم في قلعة إصْطَخْر، وهو أبو نصر بن خسرو، كان له أخَوان قبض[2] عليهما هزارسب بن بنكير[3] بأمر الأمير أبي منصور، فكتب إلى الملك الرحيم يبذل له الطاعة والمساعدة، ويطلب أن يسيّر إليه أخاه ليملّكه بلاد فارس، فسيّر إليه أخاه أبا سعد في جيش، فوسل إلى دَوْلَتَابَاذَ، فأتاه كثير من عساكر فارس الديلم، والتُرك، والعرب، والأكراد، وسار منها إلى قلعة إصطَخر، فنزل إليه صاحبها أبو نصر، فلقِيَه وأصعده إلى القلعة، وحمل له وللعساكر التي معه الإقامات والخِلع وغيرها.

ثم ساروا منها إلى قلعة بَهَنْدَر[4] فحصروها، (وأتاه كتب)[5] (بعض مستحفظي البلاد الفارسيّة بالطاعة، منها مستحفظ دَرَابْجِرْدَ وغيرها، ثم سار إلى شِيراز فملكها في رمضان)، فلمّا سمع (أخوه الأمير)[6] أبو منصور، وهزارسب، ومنصور بن الحسين الأسديُّ ذلك ساروا في عسكرهم إلى الملك الرحيم فهزموه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى، وفارق الأهواز إلى واسط، ثمّ عطفوا من الأهواز إلى شِيراز لإجلاء الأمير أبي سعد عنها، فلمّا قاربوها لِقيهم أبو سعد وقاتلهم فهزمهم، فالتجأوا إلى جبل قلعة بَهَنْدَر[7]، وتكرّرت الحروب بين الطائفتَيْن إلى منتصف شوّال، فتقدّمت طائفة من

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الباريسية: «فهرب».

(٣) في (أ): «ينكير».

(٤) في الباريسية: «يهدز».

(٥) إضافة على الأصل.

(٦) من (أ).

(٧) في الباريسية: «مدز».

عسكر أبي سعد فاقتتلوا عامّة النهار ثم عادوا، فلمّا كان الغد التقى العسكران جميعاً واقتتلوا، فانهزم عسكر الأمير أبي منصور، وظفر أبو سعد، وقتل منهم خلقاً كثيراً، واستأمن إليه كثير منهم، وصعِد أبو منصور إلى قلعة بَهَندر واحتمى بها، وأقام إلى أن عاد إلى ملكه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ولمّا فارق الأمير أبو منصور الأهواز أُعيدت الخطبة للملك الرحيم، وأرسل من بها من الجُند يستدعونه إليهم.

ذكر انهزام الملك الرحيم بالأهواز

لمّا انصرف الأمير أبو منصور، وهزارسب، ومن معهما من منزلهم قريب تُستَر، على ما ذكرناه، مَضَوا إلى إيذَج وأقاموا فيها، وخافوا الملك الرحيم واستضعفوا نفوسهم عن مقاومته، فاتّفق رأيهم على أن راسلوا السلطان طُغْرُلْبك، وبذلوا له الطّاعة، وطلبوا منه المساعدة، فأرسل إليهم عسكراً كثيراً، وكان قد ملك أصبهان، وفرغ باله منها.

وعرف الملك الرحيم ذلك، وقد فارقه كثير من عسكره، منهم: البساسيريُّ ونور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد، والعرب، والأكراد، وبقي في الديلم الأهوازيّة وطائفة قليلة من الأتراك البغداذيّين كانوا وصلوا إليه أخيراً، فقرّر رأيه على أن عاد من عسكر مُكرَم إلى الأهواز لأنّها أحصن، وينتظر بالمقام فيها وصول العساكر، ورأى أن يرسل أخاه الأمير أبا سعد إلى فارس، حيث طُلب إلى أصطَخْر، على ما ذكرناه[1]، وسيّر معه جمعاً صالحاً من العساكر، ظنّاً منه أنّ أخاه إذا وصل إلى فارس ومُلكت[2] قلعة إصطَخْر انزعج الأمير أبو منصور، وهزارسب، ومن معهما، واشتغلوا بتلك النواحي عنه، فازداد قلقاً[3] وضعفاً، فلم يلتفت أولئك إلى الأمير أبي سعد بل ساروا مُجِدّين إلى الأهواز، فوصلوها أواخر ربيع الآخر.

ووقعت الحرب بين الفريقَيْن يومَيْن متتابعَيْن كثر فيهما القتال واشتدّ، فانهزم

(١) في الباريسية: «نذكره».
(٢) في (أ): «وملك».
(٣) في (أ): «قلة».

الملك الرحيم، وسار في نفر قليل إلى واسط، ولقي في طريقه مشقّة، وسلم واستقرّ بواسط فيمن لحِق به من المنهزمين، ونُهبت الأهواز، وأُحرق فيها عدّة محالّ، وفُقد في الوقعة الوزير كمال الملك أبو المعالي بن عبد الرحيم، (وزير الملك الرحيم)[1]، فلم يُعرف له خبر[2].

ذكر الفتنة بين العامّة ببغداذ وإحراق المشهد على ساكنيه[3] السلام

في هذه السنة، في صفر، تجدّدت الفتنة ببغداذ بين السُّنّة والشيعة، وعظُمت أضعاف ما كانت قديماً، فكان الاتفاق الذي ذكرناه في السنة الماضية غير مأمون الانتقاض، لما في الصدور من الإحَن.

وكان سبب هذه الفتنة أنّ أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السمّاكين، وأهل القلاّئين في عمل ما بقي من باب مسعود، ففرغ أهل الكرْخ، وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذّهب: محمّد وعليّ خير البشر؛ وأنكر السُّنّة ذلك وادّعوا أنّ المكتوب: محمّد وعليّ خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى[4] فقد كفر؛ وأنكر أهل الكرْخ الزيادة وقالوا: ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا. فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمّام، نقيب العبّاسيّين ونقيب العلويّين، وهو عدنان بن الرضِيّ، لكشْف الحال وإنهائه، فكتبا بتصديق قول الكرْخيّين، فأمر حينئذٍ الخليفة ونوّاب الرحيم بكفّ القتال، فلم يقبلوا؛ وانتدب ابن المذهِب القاضي[5]، والزهيريّ، وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصّمد [أن] يحمل العامّة على الإغراق في الفتنة، فأمسك نوّاب الملك الرحيم عن كفّهم غيظاً من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة، ومنع هؤلاء[6] السُّنّة من حمل الماء من دجلة إلى الكرْخ، وكان نهر عيسى قد انفتح

---

(١) من (أ).
(٢) المنتظم ٨/ ١٥١ (١٥/ ٣٣١).
(٣) في الأوربية: «ساكنها».
(٤) في الأوربية: «أبا».
(٥) في (أ): «القاص».
(٦) في (أ): «أهل».

بثقُهُ، فعظُم الأمر عليهم، وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف، وصبّوا عليه ماء الورد، ونادوا: الماء للسبيل؛ فأغروا بهم السُنّة.

وتشدّد رئيس الرؤساء على الشيعة، فمحوا: خير البشر، وكتبوا: عليهما السلام، فقالت السُنّة: لا نرضى إلاّ أن يُقلع الآجُرّ الذي عليه محمّد وعليّ وأن لا يؤذَّن: حيَّ على خير العمل؛ وامتنع الشيعة من ذلك، ودام القتال إلى ثالث ربيع الأوّل، وقُتل فيه رجل هاشميّ من السُنّة، فحمله أهله على نعش، وطافوا به في الحربيّة، وباب البصرة، وسائر محالّ السُنّة، واستنفروا الناس للأخذ بثأره، ثم دفنوه عند أحمد بن حَنبَل، وقد اجتمع معهم خلْقٌ كثير أضعاف ما تقدّم.

فلمّا رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبْن فأُغلق بابه، فنقبوا في سوره وتهدّدوا البوّاب، فخافهم وفتح الباب[1] فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضّة وستور وغير ذلك، ونهبوا (ما في التُرَب والدُور)[2]، وأدركهم الليل فعادوا.

فلمّا كان الغد كثُر الجَمْع، فقصدوا المشهد، وأحرقوا جميع التُرَب والازاج، واحترق ضريح موسى، وضريح ابن ابنه محمّد بن عليّ، والجوار، والقُبّتان الساج اللتان عليهما، واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بُوَيْه، مُعزّ الدولة، وجلال الدولة، ومن قبور الوزراء والرؤساء، وقبر جعفر بن أبي المنصور، وقبر الأمير محمّد بن الرشيد، وقبر أمّه زبيدة، وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجرِ في الدنيا مثله.

فلمّا كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمّد بن عليّ لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حَنبَل، فحال الهدْم بينهم وبين معرفة القبر، فجاء الحفر إلى جانبه.

وسمع أبو تمّام نقيب العبّاسيّين وغيره من الهاشميّين السُنّة الخبر، فجاؤوا ومنعوا عن ذلك، وقصد أهل الكرْخ إلى خان الفقهاء (الحنفيّين فنهبوه، وقتلوا مدرّس

---

(١) في (أ): «لهم».
(٢) في (أ): باقي الدور.

الحنفيّة أبا سعد السَّرْخَسيَّ، وأحرقوا الخان ودُور الفقهاء)[١]. وتعدّت الفتنة إلى الجانب الشرقيّ، فاقتتل أهل باب الطّاق وسوق بَجّ[٢]، والأساكفة، وغيرهم.

ولمّا انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد عظُم عليه واشتدّ وبلغ منه كلّ مبلغ، لأنّه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل، وتلك الولاية كلّهم شيعة، فقُطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله، فروسل في ذلك وعوتب، فاعتذر بأنّ أهل ولايته شيعة، واتّفقوا على ذلك، فلم يمكنه أن يَشُقّ عليهم، كما أنّ الخليفة لم يمكنه كفّ السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا، وأعاد الخطبة إلى حالها[٣].

ذكر عصيان بني قُرّة على المستنصر بالله بمصر

في هذه السنة، في شعبان، عصى بنو قُرّة بمصر على المستنصر بالله الخليفة العلويّ.

وكان سبب ذلك أنه أمّر عليهم رجلاً منهم يقال له المُقرّب، وقدّمه، فنفروا من ذلك وكرهوه واستعفوا[٤] منه، فلم يعزله عنهم، فكاشفوا بالخلاف والعصيان، وأقاموا بالبحيرة[٥] مقابل مصر، وتظاهروا بالفساد، فعبّر إليهم المستنصر بالله جيشاً يقاتلهم ويكفّهم، فقاتلهم بنو قُرّة فانهزم الجيش، وكثُر القتل فيهم، فانتقل بنو قُرّة إلى طرف البرّ، فعظُم الأمر على المستنصر بالله، وجمع العرب من طَيّء، وكلب، وغيرهما من[٦] العساكر، وسيّرهم في أثر بني قُرّة، فأدركوهم بالبحيرة[٧]، فواقعوهم في ذي القعدة، واشتدّ القتال، وكثُر القتل في بني قُرّة، وانهزموا وعاد العسكر إلى مصر،

---

(١) من (أ).

(٢) في (أ): «بحي».

(٣) المنتظم ٨/ ١٥٠ (١٥/ ٣٣٠، ٣٣١)، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧١، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ)، ص ٩، ١٠، العبر ٣/ ٢٠١، دول الإسلام ١/ ٢٦١، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٢، مرآة الجنان ٣/ ٦١، شذرات الذهب ٣/ ٢٧٠.

(٤) في الباريسية: «واستغاثوا».

(٥) في طبعة صادر ٩/ ٥٧٨ «بالجيزة».

(٦) في (أ) زيادة: «العرب و».

(٧) في طبعة صادر ٩/ ٥٧٨ «بالجيزة». والمثبت عن الأوربية، وأخبار مصر لابن ميسّر، واتعاظ الحنفا.

وتركوا في مقابل بني قُرّة طائفة منهم لتردّ بني قُرّة إن أرادوا التعرّض إلى البلاد، وكفى الله شرّهم[١].

ذكر وفاة زعيم الدولة وإمارة قُرَيش بن بدران

في هذه السنة، في شهر رمضان، توفّي زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلّد[٢] بتكِريت، وكان انحدر إليها في حِلَله قاصداً نحو العراق لينازع النوّاب به عن الملك الرحيم، وينهب[٣] البلاد، فلمّا بلغها انتقض عليه جُرْحٌ كان أصابه من الغُزّ لمّا ملكوا الموصل، فتوفّي، ودُفن بمشهد الخَضِر بتَكريت.

واجتمعت (العرب من أصحابه على تأمير علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران ابن المقلّد، فعاد بالحلل)[٤] والعرب إلى الموصل، وأرسل إلى عمّه قِرواش، وهو تحت الاعتقال، يُعلِمه بوفاة زعيم الدولة، وقيامه (بالإمارة، وأنّه يتصرّف على اختياره، ويقوم)[٥]، ؛ بالأمر نيابة عنه، فلمّا وصل قريش إلى الموصل جرى بينه وبين عمّه قِرواش منازعة ضعف فيها قِرواش، وقوي ابن أخيه، ومالت العرب إليه[٦] واستقرّت الإماره له، وعاد عمّه إلى ما كان عليه من الاعتقال الجميل، والاقتصار به على قليل من الحاشية والنساء والنفقة، ثم نقله إلى قلعة الجراحية من أعمال الموصل، فاعتُقل بها.

ذكر عدّة حوادث

ظهر ببغداذ يوم الأربعاء، سابع صفر وقت العصر، كوكب غلب نوره على نور الشمس، له ذُؤآبة نحو ذراعَيْن، وسار سيراً بطيئاً ثم انقضّ، والناس يشاهدونه.

---

(١) أخبار مصر لابن ميسّر ٢/٦، إتعاظ الحنفا ٢/٢١٨ ـ ٢٢٠.

(٢) انظر عن (بركة) في: المنتظم ٨/١٥١ رقم ٢١٨ (١٥/ ٣٣٢ رقم ٣٣٠٢)، وتاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٧٧ رقم ٧٢.

(٣) في ألباريسية «ونهب».

(٤) ما بين القوسين من (أ)، وورد في الباريسية: «الحلل».

(٥) من (أ).

(٦) في الباريسية: «عليه».

وفيها، في رمضان، ورد رُسُل السلطان طُغْرُلْبك إلى الخليفة جواباً عن رسالة الخليفة إليه، وشُكراً لإنعام الخليفة عليه بالخِلع والألقاب، وأرسل معه طُغْرُلْبك إلى الخليفة عشرة آلاف دينار عيناً، وأعلاقاً نفيسة من الجواهر، والثياب، والطِّيب، وغير ذلك، وأرسل خمسة آلاف دينار للحاشية، وألفَيْ دينار لرئيس الرؤساء، وأنزل الخليفة الرسل بباب المراتبِ، وأمر بإكرامهم، ولمّا جاء العيد أظهر أجناد بغداذ الزينة الرائقة، والخيول النفيسة، (والتّجافيف الحَسَنة)[1]، وأرادوا إظهار قوّتهم عند الرسل.

وفيها عاد الغُزُّ أصحاب الملك داود أخي طُغْرُلْبك عن كَرْمان، وسبب عَودهم أنّ عبد الرشيد بن محمود بن سبكتِكِين، صاحب غَزْنة، سار عنها إلى خُراسان، فالتقى هو والملك داود، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم داود، فاقتضى[2] الحال عَود أصحابه عن كَرمان.

وفيها أيضاً عاد السلطان طُغْرُلْبك عن أصبهان إلى الرَّيّ.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكَوَيْه بالأهواز، وكان قد استخلفه بها الأمير أبو منصور عند عَوده عنها إلى شِيراز، فلمّا توفّي خطب للملك الرحيم بالأهواز.

وفيها توفّي أبو عبدالله الحسين بن المرتضى الموسويُّ.

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي أبو الحسن محمّد بن محمّد البَصْرويُّ[3] (الشاعر، وهو)[4] منسوب إلى قرية تسمّى بُصْرَى قريب عُكبرا[5]، وكان صاحب نادرة، قال له رجل: شربتُ البارحة ماءً كثيراً، فاحتجتُ إلى القيام كلّ ساعة كأنّني جَدْي؛ فقال له: لِمَ تصغّر نفسَك؟ ومن شِعره:

---

(١) من (أ).

(٢) في الأوربية: «فاقتفى».

(٣) انظر عن (البصروي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٨٤ رقم ٩١ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) من (أ).

(٥) زاد في (أ): «الشاعر».

ترى[1] الدنيا، وزينتها[2]، فتصبو[3]،	وما يَخلو من الشَّهوات قلبُ
فضولُ العيشِ أكثرُها همومٌ	وأكثرُ ما يَضرُّك ما تُحِبُّ
فلا يَغْرُرْك زُخرفُ ما تَراهُ،	وعيشٌ ليّنُ الأعطافِ رَطْبُ
إذا ما بُلغةٌ جاءتكَ عفواً،	فخذها، فالغنى مَرْعًى وشُربُ
إذا اتّفقَ القليلُ وفيه[4] سِلمٌ،	فلا تُرِدِ الكثيرَ وفيه حربُ[5]

(١) في المنتظم: «نرى»، وفي الباريسية «يرى».

(٢) في (أ) والمنتظم: «وزهرتها».

(٣) في المنتظم: «فنصبو».

(٤) في الباريسية: «وأنت».

(٥) المنتظم ٨/ ١٥٢ (١٥/ ٣٣٣).

٤٤٤
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة

ذكر قتل عبد الرشيد صاحب غَزْنَة وملك فرّخ زاد

في هذه السنة قُتل عبد الرشيد بن محمود بن سُبُكْتِكِين صاحب غَزْنة.

وكان سبب ذلك أنّ حاجباً لمودود ابن أخيه مسعود، اسمه طُغرل[١]، وكان مودود قد قدّمه، ونوّه باسمه، وزوّجه أخته، فلمّا توفّي مودود وملك عبد الرشيد أجرى طُغْرل على عادته في تقدّمه، وجعله حاجب[٢] حُجّابه، فأشار عليه طُغْرل بقصد الغُزّ وإجلائهم من خُراسان، فتوقّف استبعاداً لذلك، فألحّ عليه طُغْرل، فسيّره في ألف فارس، فسار نحو سِجِستان، وبها أبو الفضل، نائباً عن بَيْغو، فأقام طُغْرل على حصار قلعة طاق[٣]، وأرسل إلى أبي الفضل يدعوه إلى طاعة عبد الرشيد، فقال له: إنّني نائب عن بَيْغو، وليس من الدين والمروءة خيانته، فاقصدهُ، فإذا فرغتَ منه سلّمتُ إليك. فقام على حصار طاق أربعين يوماً، فلم يتهيّأ له فتحها[٤]؛ وكتب أبو الفضل إلى بَيْغو يعرّفه حال طُغْرل، فسار إلى سِجِستان ليمنع عنها طُغْرل.

ثم إنّ طُغْرل ضجر من مُقامه على حصار طاق، فسار نحو مدينة سِجِستان، فلمّا كان على نحو فرسخ منها كمن بحيث لا يراه أحد (لعلّةٍ يجدها، وفرصة ينتهزها)[٥]، فسمع أصواب دبادب وبوقات، فخرج وسأل بعض من على الطريق، فأخبره أنّ بَيْغو قد وصل، فعاد إلى أصحابه وأخبرهم وقال لهم: ليس لنا إلاّ أن نلتقي القوم، ونموت

---

(١) في الباريسية: «طغرلبك»، وفي (أ): «طغرك».

(٢) في الباريسية: «صاحب».

(٣) في (أ): «قلعة حصار طاق».

(٤) في (أ): «ملكها».

(٥) في (أ): «لعله يجد غرة وفرصة ينتهز».

تحت السيوف أعزّةً، فإنّه لا سبيل لنا إلى الهرب لكثرتهم وقلّتنا. فخرجوا من مكمنهم، فلمّا رآهم بَيْغو سألَ أبا الفضل عنهم، فأخبره أنّه طُغْرل، فاستقلّ من معه، وسيّر طائفة من أصحابه لقتالهم، فلمّا رآهم طُغرل لم يُعرّج عليهم، بل أقحم فرسه نهراً هناك فعبره، وقصد بَيْغو ومن معه، فقاتلهم، وهزمهم طُغْرل وغنم ما معهم، ثم عطف على الفريق[1] الآخر، فصنع بهم مثل ذلك، وأمَّ[2] بَيْغو وأبو الفضل نحو هَراة، وتبِعهم طُغْرل نحو فرسخَيْن، وعاد إلى المدينة فملكها، وكتب إلى عبد الرشيد بما كان منه، ويطلب الإمداد ليسير إلى خُراسان، فأمّده بعدّةٍ كثيرة من الفرسان، فوصلوا إليه، فاشتدّ بهم وأقام مُدَيْدة.

ثمّ حدّث نفسه بالعَود إلى غَزنة والاستيلاء عليها، فأعلم أصحابه ذلك، وأحسن إليهم، واستوثق منهم، ورحل إلى غَزْنة طاوياً للمراحل كاتماً أمره، فلمّا صار على خمسة فراسخ من غَزْنة أرسل إلى عبد الرشيد مخادعاً له يُعلمه أنّ العسكر خالفوا عليه، وطلبوا الزيادة في العطاء، وأنّهم عادوا بقلوبٍ متغيّرة مستوحشة. فلمّا وقف على ذلك جمع أصحابه وأهل ثقته وأعلمهم الخبر، فحذّروه منه، وقالوا له: إنّ الأمر قد أعجل عن الاستعداد، وليس غير الصعود إلى القلعة والتحصّن بها. فصعد إلى قلعة غَزْنة وامتنع بها.

ووافى طُغرل من الغد إلى البلد، ونزل في دار الإمارة، وراسل المقيمين بالقلعة في تسليم عبد الرشيد، ووعدهم، ورغّبهم إن فعلوا، وتهدّدهم إن امتنعوا. فسلّموه إليه، فأخذه طُغرل فقتله، واستولى على البلد وتزوّج ابنة[3] مسعود كرهاً.

وكان في الأعمال الهنديّة أمير يسمّى خرخيز[4]، ومعه عسكر كثير[5]، فلمّا قتل طُغْرل عبدَ الرشيد واستولى على الأمر كتب إليه ودعاه إلى الموافقة والمساعدة على ارتجاع الأعمال من أيدي الغُزّ، ووعده على ذلك، وبذل البذول الكثيرة، فلم يرض

---

(١) في (أ): «الغزّ».

(٢) في الأوربية: «وتمّ».

(٣) في (أ) زيادة: «السلطان».

(٤) في الباريسية: «خرخير».

(٥) في (أ): «عساكر كثيرة».

فِعله، وأنكره وامتعض[1] منه، وأغلظ له في الجواب، وكتب إلى ابنة مسعود بن محمود زوجة طُغْرل، ووجوه القوّاد يُنكر ذلك عليهم، ويوبّخهم على إغضائهم وصبرهم على ما فعله طُغْرل من قتل ملكهم وابن ملكهم، ويحثّهم على الأخذ بثأره. فلمّا وقفوا على كتبه عرفوا غلطتهم[2] ودخل جماعة منهم على طُغْرل، ووقفوا بين يديه، فضربه أحدهم بسيفه، وتبِعه الباقون فقتله.

وورد خرخيز الحاجب بعد خمسة أيّام، وأظهر الحُزن على عبد الرشيد، وذمّ طُغرل ومن تابعه على فعله، وجمع وجوه القوّاد وأعيان أهل البلد وقال لهم: قد عرفتم ما جرى ممّا خولفت به الديانة والأمانة، وأنا تابعٌ، ولا بدّ للأمر من سائس، فاذكروا ما عندكم من[3] ذلك! فأشاروا بولاية فرّخ زاد بن مسعود بن محمود، وكان محبوساً في بعض القلاع، فأُحضر وأجلس بدار الإمارة وأقام خرخيز بين يديه يدبّر الأمور، وأخذ من أعان على قتل عبد الرشيد فقتله. فلمّا سمع داود أخو طُغْرلبك صاحب خُراسان بقتل[4] عبد الرشيد جمع عساكره وسار إلى غَزْنة، فخرج إليه خرخيز ومنعه وقاتله، فانهزم داود وغنم ما كان معه.

ولمّا استقرّ ملك فرّخ زاد وثبت قدمه جهّز جيشاً جرّاراً إلى خُراسان، فاستقبلهم الأمير كُلْسَارُغ، وهو من أعظم الأمراء، فقاتلهم، وصبر لهم، فظفروا به، وانهزم أصحابه عنه، وأُخذ أسيراً، وأُسر معه كثير من عسكر خُراسان ووجوههم وأمرائهم. فجمع ألْب أرسلان عسكراً كثيراً، وسيّر[5] والده داود في ذلك العسكر إلى الجيش الذي أسر كُلْسَارُغ، فقاتلهم وهزمهم، وأسر جماعة من أعيان العسكر، فأطلق فرّخ زاد الأسرى، وخلع على كُلْسارُغ وأطلقه[6].

---

(١) في (أ): «وامتنع».

(٢) في الأوربية: «غلظهم»، وفي الباريسية: «كتبهم».

(٣) في الباريسية: «في».

(٤) في الأوربية: «قتل».

(٥) في (أ): «وسيره».

ذكر وصول الغُزّ إلى فارس وانهزامهم عنها

في هذه السنة وصل أصحاب السلطان طُغْرلبك إلى فارس، وبلغوا إلى شِيراز، ونزلوا بالبيضاء، واجتمع معهم العادل أبو منصور الذي كان وزير الأمير أبي منصور الملك أبي كاليجار، ودبّر أمرهم، فقبضوا عليه وأخذوا منه ثلاث قلاع، وهي: قلعة كَبزة[1]، وقلعة جُوَيم، وقلعة بَهَنْدر[2]، فأقاموا بها، وسار من الغُزّ نحو مائتيْ رجل إلى الأمير أبي سعد، أخي الملك الرحيم، وصاروا معه، وراسل أبو سعد الذين بالقلاع المذكورة، فاستمالهم، فأطاعوه وسلّموا القلاع إليه وصاروا في خدمته.

واجتمع العسكر الشيرازيُّ، وعليهم الظهير أبو نصر، وأوقعوا بالغُزّ بباب شِيراز، فانهزم الغُزُّ، وأُسر تاج الدين نصر بن هبة الله بن أحمد، وكان من المقدّمين عند الغُزّ، فلمّا انهزم الغُزُّ سار العسكر الشيرازيُّ إلى فَسا، وكان قد تغلّب عليها بعض السفل، وقوي أمره لاشتغال العساكر بالغُزّ، فأزالوا المتغلّب عليها واستعادوها.

ذكر الحرب بين قُرَيش وأخيه المقلّد

في هذه السَّنة جرى خُلْف بين عَلَم الدين قريش بن بدران وبين أخيه المقلّد، وكان قريش قد نقل عمّه قِرواشاً إلى قلعة الجراحيّة من أعمال الموصِل وسجنه بها، وارتحل يطلب العراق، فجرى بينه وبين أخيه المقلّد منازعة أدّت إلى الاختلاف. فسار المقلّد إلى نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد ملتجئاً إليه، فحمل أخاه الغيظ منه على أن نهب حلّته وعاد إلى الموصل، واختلّت أحواله، واختلفت العرب عليه، وأخرج نوّاب الملك الرحيم ببغداذ إلى ما كان بيد قريش من العراق بالجانب الشرقيّ من عُكبرا، والعِلث، وغيرهما مَنْ قَبَضَ غَلته[3]، وسلّم الجانب الغربيّ من أوانا ونهر بيطر إلى أبي الهندي بلال بن غريب.

ثم إنّ قريشاً استمال العرب وأصلحهم، فأذعنوا له بغد وفاة عمّه قِرواش، فإنّه

---

(١) في نسخة بودليان رقم ٧٣ «كبيرة»، وفي رقم ٦٦١ «كره».

(٢) في الباريسية: «الهندر».

(٣) في الباريسية: «عليه».

توفّي هذه الأيام، وانحدر إلى العراق ليستعيد ما أخذ منه، فوصل إلى الصالحيّة[1]، وسيّر بعض أصحابه إلى ناحية الحظيرة وما والاها، فنهبوا ما هناك وعادوا، فلقوا كامل بن محمّد بن المسيّب، صاحب الحظيرة، فأوقع بهم وقاتلهم، فأرسلوا إلى قريش يعرّفونه الحال، فسار إليهم في عدّة كثيرة من العرب والأكراد، فانهزم كامل، وتبعه قريش فلم يلحقه، فقصد حلل بلال بن غريب، وهي خالية من الرجال، فنهبها، وقاتله بلال وأبلى بلاء حسناً فجُرح ثم انهزم، وراسل قريش نوّاب الملك الرحيم يبذل الطاعة، ويطلب تقرير ما كان له عليه، فأجابوه إلى ذلك على كرهٍ لقوّته وضعفهم، واشتغال الملك الرحيم بخوزستان عنهم، فاستقرّ أمره وقوي شأنه.

ذكر وفاة قِرواش

في هذه السنة، مستهلّ رجب، تُوفّي معتمد الدولة أبو المنيع قِرواش بن المقلّد العُقيليُّ[2]، الذي كان صاحب الموصل، محبوساً بقلعة الجراحيّة، من أعمال الموصل، على ما ذكرناه قبلُ، وحُمل ميّتاً إلى الموصل، ودُفن بتل تَوبة من مدينة نِينَوى، شرقيّ الموصل.

وكان من رجال العرب، وذوي العقل منهم، وله شِعر حَسَن، فمن ذلك ما ذكره أبو الحسن عليُّ بن الحسن البَاخَرزيُّ في «دُمْية القصر»[3] من شِعره:

لله[4] دَرُّ النائباتِ، فإنّها ... صَدأُ النفوس[5] وصَيْقَلُ الأحرارِ
ما كنتُ[6] إلاّ زُبرةً فطبعنَني ... سيفاً، وأُطلقَ شفرتي وغِرارِي[7]

وذُكر له أيضاً:

(١) في الباريسية: «الصالحين».

(٢) انظر عن (قرواش) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ) ص ٤٨ ـ ٥٠ رقم ٢٣ وفيه مصادر ترجمته (سنة ٤٤١ هـ).

(٣) طبعة بغداد ١/ ١٣٠، ١٣١ رقم ٢.

(٤) في الأوربية: «الله».

(٥) في (أ): «القلوب».

(٦) في نسخة بودليان و(أ) والباريسية: «وكنت».

(٧) في نسخة بودليان: «سيفهن غراري». وفي نسخة «مارش»: (غرار)، وفي الباريسية: «سفهر».

مـن كـان يحمَـدُ، أو يـذمُّ مُـوَرَّثـاً[١] — للمــالِ مــن آبــائــهِ وجـدودِهِ
إنّــي امــرؤٌ للهِ شكــرٌ وحــده — شكــراً كثيــراً، جــالبــاً لمـزيـدهِ
لــي أشقَـرٌ سَمْـحُ العِنــان مُغــاورٌ — يُعطيـك مـا يُـرضِيـك مـن مَجهـودِهِ
ومهنّــدٌ عضْــبٌ، إذا جّــردتُــهُ — خلْـتَ البـروقَ تَمُـوج فـي تجـريـدهِ[٢]
ومثقّــفٌ لــدنُ السِّنــان[٣] كــأنّمــا — أمُّ المنــايــا رُكّبَــتْ فــي عُــودِهِ
وبِـذَا حَــويــتُ المــالَ، إلاّ أنّنــي — سلّطــتُ جُـودَ يـدي علـى تبـديـدِهِ

قيل إنّه جمع بين أُختَيْن في نكاحه، فقيل له: إنّ الشريعة تحرّم هذا؛ فقال: وأيّ شيء عندنا تجيزه الشريعة[٤]؟ وقال مرّة: ما في رقبتي غير خمسة أو ستّة من البادية قتلتهم، وأمّا الحاضرة فلا يُعبأ الله بهم[٥].

ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة

في هذه السنة، في شعبان، سيّر الملك الرحيم جيشاً مع الوزير والبساسيريّ إلى البصرة، وبها أخوه أبو عليّ بن أبي كاليجار، فحصروه بها، فأخرج عسكره في السفن لقتالهم، فاقتتلوا عدّة أيّام، ثم انهزم البصْريّون في الماء إلى البصرة، واستولى عسكر الرحيم على دجلة والأنهر جميعاً، وسارت العساكر على البرّ من المنزلة بمَطَارا إلى البصرة، فلمّا قاربوها لقيهم رُسُل مُضر وربيعة يطلبون الأمان، فأجابوهم إلى ذلك، وكذلك بذلوا الأمان لسائر أهلها، ودخلها الملك الرحيم، فسُرّ به أهلها، وبذل لهم الإحسان.

فلمّا دخل البصرة وردت إليه رسل الدَّيلم بخُوزِستان يبذلون الطاعة، ويذكرون أنّهم ما زالوا عليها. فشكرهم على ذلك، وأقام بالبصرة ليُصلح أمرها.

---

(١) وأمّا أخوه أبو عليّ، صاحب البصرة، فإنّه مضى إلى شطّ عُثمان[٦] فتحصّن به،
(٢) في الباريسية: «تحديده».
(٣) في (أ): «العوام».
(٤) تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٩، ٥٠.
(٥) المنتظم ١٤٧/٨ (٣٢٧/١٥)، وفيات الأعيان ٢٦٧/٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٥٠.
(٦) في الباريسية: «عمان».

وحفر الخندق، فمضى الملك الرحيم إليه وقاتلهم، فملك الموضع ومضى أبو عليّ ووالدته إلى عَبّادان، وركبوا البحر إلى مَهْرُوبان، وخرجوا من البحر واكتروا دوابّ وساروا إلى أرّجان عازمين على قصد السلطان طُغْرلبك، وأخرج الملك الرحيم كلَّ من بالبصرة من الديلم أجناد أخيه وأقام غيرهم.

ثم إنّ الأمير أبا عليّ وصل إلى السلطان طُغْرلبك، وهو بأصبهان، فأكرمه وأحسن إليه، وحمل إليه مالاً، وزوّجه امرأة من أهله، وأقطعه إقطاعاً من أعمال جَربَاذَقَان، وسلّم إليه قلعتَيْن من تلك الأعمال أيضاً. وسلّم الملك الرحيم البصرة إلى البساسيريّ ومضى إلى الأهواز، وتردّدت الرسل بينه وبين منصور بن الحُسين وهزارسب، حتّى اصطلحوا، وصارت أرّجان وتُستَر للملك الرحيم[1].

ذكر ورود سعْدي العراق

وفيها، في ذي القعدة، ورد سعْدي بن أبي الشوك في جيش من عند السلطان طُغْرلبك إلى نواحي العراق، فنزل ما يَدَشْتَ، وسار منها جريدةً فيمن معه من الغُزّ إلى أبي دُلَفٍ الجاوانيّ، فنَذِر به أبو دلف، وانصرف من بين يديه، ولحِقه سعدي فنهبه وأخذ ماله، وأفلت أبو دُلَف بحُشاشة نفسه، ونهب أصحاب سعدي البلاد حتّى بلغوا النُّعمانيّة، فأسرفوا في النهب والغارة، وفتكوا في البلاد، وافتضّوا الأبكار، فأخذوا الأموال والأثاث فلم يتركوا شيئاً، وقصد البَنْدَنِيجَيْن.

وبلغ خبره إلى خاله خالد بن عمر، وهو نازل على الزَّرير[2] ومطر ابنَيْ عليّ بن مَقن العُقيليّين، فأرسل إليه ولده مع أولاد[3] الزَّرير ومطر يشكون إليه ما عاملهم به عمّه مُهلهِل[4]، وقريش بن بدران، فلقوه بحُلوان وشكوا إليه حالهم، فوعدهم المسير إليهم، والأخذ لهم ممّن قصدهم. فعادوا من عنده، فلقيهم نفر من أصحاب مُهلهِل فواقعوهم، فظفر بهم العُقيليّون وأسروهم.

---

(١) العبر ٣/ ٢٠٤، ٢٠٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١١، ١٢، دول الإسلام ١/ ٢٦١، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٦.

(٢) في (أ): «الدرير»، وفي الباريسية: «زرير».

(٣) في الباريسية: «ولد».

(٤) في (أ): «المهلهل».

وبلغ الخبر مُهلهِلاً، فسار إلى حُلل الزَّرير[١] ومطر في نحو[٢] خمسمائة فارس، فأوقع بهم على تلّ عُكْبَرا ونهبهم، وانهزم الرجال، فلقي خالد ومطر والزّرير سعدي بن أبي الشوك على تامرّا، فأعلموه الحال وحملوه على قتال عمّه، فتقدّم إلى طريقه والتقى القوم، وكان سعدي في جَمْعٍ كثير، فظفر بعمّه وأسره، وانهزم أصحابه في كلّ جهة، وأسر أيضاً مالك ابن عمّه مهلهِل وأَعاد الغنائم التي كانت معهم على أصحابها وعاد إلى حُلوان.

ووصل الخبر إلى بغداذ، فارتجّ الناس بها وخافوا[٣]، وبرز[٤] عسكر الملك الرحيم ليقصدوا حُلوان لمحاربة سعدي، ووصل إليهم أبو الأغرّ دُبَيْس بن مَزْيد الأسديُّ ولم يصنعوا شيئاً.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض عيسى بن خميس بن مَقن على أخيه أبي غشّامٍ[٥]، صاحب تَكريت بها، وسجنه في سرداب بالقلعة، واستولى على تَكريت.

وفيها زلزلت خُوزستان وأرّجَان وإيذَج، وغيرها من البلاد، زلازل كثيرة، وكان معظمها بأرَّجان، فخرب كثير من بلادها وديارها، وانفرج جبل كبير قريب من أرَّجان، وانصدع، فظهر في وسطه درجةٌ مبنيّة بالآجُرّ والجصّ قد خفيت في الجبل، فتعجّب الناس من ذلك[٦].

وكان بخُراسان أيضاً زلزلة عظيمة خرّبت كثيراً، وهلك بسببها كثير، وكان أشدّها بمدينة بَيْهق فأتى الخراب عليها، وخرّب سورها ومساجدها، ولم يزل سورها خراباً إلى سنة أربع وستّين وأربعمائة، فأمر نظام المُلْك ببنائه، فبُني، ثم خرّبه أرسلان

---

(١) في الباريسية: «الوزير».
(٢) من (أ).
(٣) العبر ٣/ ٢٠٥، دول الإسلام ١/ ٢٦١، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٢.
(٤) في (أ): «وترقى».
(٥) في الباريسية: «عسام».
(٦) المنتظم ٨/ ١٥٤ (١٥/ ٣٣٦)، تاريخ حلب ٣٤١، كشف الصلصلة للسيوطي ١٧٨.

أرغو[1]، بعد موت السلطان ملكشاه، وقد ذكرناه، ثم عمّره مجد الملك البلاسانيُّ.

وفيها عُمل محضرٌ ببغداذ يتضمّن القدح في نسب العلويّين أصحاب مصر، وأنّهم كاذبون في ادّعائهم النسب إلى عليّ، عليه السلام، وَعَزَوْهم فيه إلى الدّيصانيّة من المجوس، والقدّاحيّة من اليهود، وكتب فيه العلويّون، والعبّاسيّون، والفقهاء، والقضاة، والشهود، وعُمل به عدّة[2] نسخ، وسُيّر في البلاد، وشُيّع بين الحاضر والبادي[3].

وفيها شهد الشيخ أبو نصر عبد السيّد بن محمّد بن عبد الواحد بن[4] الصّبّاغ مصنّف الشامل، عند قاضي القضاة أبي عبدالله الحسين بن عليّ بن ماكولا[5].

وفيها حدثت فتنة بين السُّنّة والشيعة ببغداذ، وامتنع الضَّبْط، وانتشر العيّارون وتسلّطوا، وجبوا الأسواق، وأخذوا ما كان يأخذه أرباب الأعمال، وكان مقدّمهم الطّقطقِيّ والزَّيْبق، وأعاد الشيعة الأذان بحيّ على خير العمل، وكتبوا على مساجدهم: محمّد وعليّ خير البشر؛ وجرى القتال بينهم، وعظُم الشرّ[6].

وفيها زوّج نور الدولة دُبيس بن مَزْيد ابنَهُ بهاء الدولة منصوراً[7] بابنة أبي البركات بن البساسيريّ.

[الوَفَيَات]

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي القاضي أبو جعفر السِّمنانيُّ[8] بالموصل، وكان

---

(١) في الباريسية: «بيغو».

(٢) من (أ).

(٣) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٠ (سويم) ٨، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/٦، المنتظم ٨/١٥٤، ١٥٥ (١٥/٣٣٦)، العبر ٣/٢٠٤، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٢، مرآة الجنان ٣/٦٢، البداية والنهاية ١٢/٦٣، إتعاظ الحنفا ٢/٢٢٣.

(٤) من الباريسية.

(٥) المنتظم ٨/١٥٤ (١٥/٣٣٥).

(٦) المنتظم ٨/١٥٤ (١٥/٣٣٥، ٣٣٦)، المختصر في أخبار البشر ٢/١٧٢، العبر ٣/٢٠٣، ٢٠٤، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١١، تاريخ ابن الوردي ١/٣٥٤، مرآة الجنان ٣/٦٢، البداية والنهاية ١٢/٦٣.

(٧) في الأوربية: «منصور».

(٨) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.)=

إماماً في الفقه على مذهب أبي حنيفة، والأصول على مذهب الأشعريّ، وروى الحديث عن الدارقَطْنِيّ وغيره.

وفي هذا الشهر توفّي أيضاً أبو عليّ الحسن بن عليّ بن المُذْهِب[1]، الواعظ، وهو راوي «مُسْنَد» أحمد بن حَنبَل.

= ص ١٠٣، ١٠٤ رقم ١٢٠ وفيه مصادر ترجمته.
و«السِّمناني»: بكسر السين وفتح الميم، نسبة إلى سمنان، وهي قرية من قرى نسا في العراق. (الأنساب ٧/ ١٤٩).

(١) انظر عن (الحسن المذهب) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٨٨ ـ ٩٠ رقم ٩٧ وفيه مصادر ترجمته.
و«المُذْهب»: بضم الميم (وقد وقع في المطبوع من «الأنساب ١١/ ٢١٧»: «بفتح الميم» وهو غلط). وسكون الذال المعجمة، وكسر الهاء، ووقع في طبعة صادر ٩/ ٥٩٢ «المذهّب» بتشديد الهاء، وهو غلط أيضاً.

٤٤٥
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة

ذكر الفتنة بين السُّنّة والشيعة ببغداذ

في هذه السنة، في المحرّم، زادت الفتنة بين أهل الكرْخ وغيرهم من السُّنّة، وكان ابتداؤها أواخر سنة أربعٍ وأربعين [وأربعمائة].

فلمّا كان الآن عظُم الشرّ، واطّرحت المراقبة للسلطان، واختلط بالفريقَيْن طوائف من الأتراك، فلمّا اشتدّ الأمر اجتمع القوّاد واتفقوا على الركوب إلى المحالّ وإقامة السياسة بأهل الشرّ والفساد، وأخذوا من الكرخ إنساناً علويّاً وقتلوه، فثار نساؤه، ونشرن شعورهنّ واستغثن، فتبِعهنّ العامّة من أهل الكرْخ، وجرى بينهم وبين القوّاد، ومَن معهم من العامّة، قتال شديد، وطرح الأتراك النار في أسواق الكرْخ، فاحترق كثير منها، وألحقتها بالأرض، وانتقل كثير من الكرخ إلى غيرها من المحالّ.

وندم القوّاد على ما فعلوه، وأنكر الإمام القائم بأمر الله ذلك، وصلح الحال، وعاد الناس إلى الكرْخ، بعد أنِ استقرّت القاعدة بالديوان بكفّ الأتراك أيديهم عنهم(١).

ذكر استيلاء الملك الرحيم على أرّجان ونواحيها

في هذه السنة، في جمادى الأولى، استولى الملك الرحيم على مدينة أرَّجان، وأطاعه من كان بها من الجُند، وكان المقدّم عليهم فولاذ بن خُسرو الدَّيْلَميّ.

وكان قد تغلّب على ما جاورها من البلاد إنسان متغلّب يسمّى خُشنام، فأنفذ إليه فولاذ جيشاً فأوقعوا به وأجلوه عن تلك النواحي واستضافوا إلى طاعة الرحيم.

---

(١) المنتظم ٨/ ١٥٧ (١٥/ ٣٤٠)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ) ص ١٣، البداية والنهاية ١٢/ ٦٤.

وخاف هزارسب بن بنكير من ذلك لأنّه مبايناً للملك الرحيم على ما ذكرناه، فأرسل يتضرّع ويتقرّب، ويسأل التقدّم إلى فولاذ بإحسان مجاورته، فأُجيب إلى ذلك[1].

ذكر مرض السلطان طُغْرلبك

في هذه السنة وصل السلطان طُغْرُلبك إلى أصبهان مريضاً، وقوي الإرجاف عليه بالموت، ثم عُوفي، ووصل إليه الأمير أبو عليّ ابن الملك أبي كاليجار الذي كان صاحب البصرة، ووصل إليه أيضاً هزارسب بن بنكير بن عياض، صاحب إيذَج، فإنّه كان قد خاف الملك الرحيم لمّا استولى على البصرة وأرّجان. فأكرمهما طُغْرلبك، وأحسن ضيافتهما، ووعدهما النُّصْرة والمعونة.

ذكر عَود سعْدي بن أبي الشوك إلى طاعة الرحيم

قد ذكرنا سنة أربعٍ وأربعين [وأربعمائة] وصول سعدي إلى العراق، وأسْره عمّه، فلمّا أسره سار ولده بدر بن المُهلهِل إلى السلطان طُغْرلبك، وتحدّث معه في مراسلة سعدي ليطلق أباه، فسلّم إليه طُغَرلبك ولداً كان لسعدي عنده رهينةً، وأرسل معه رسولاً يقول فيه: إنْ أردتَ فديةً عن أسيرك فهذا ولدك قد رددتُه عليك، وإن أبيت إلاّ المخالفة ومفارقة الجماعة[2] قابلناك على فعلك.

فلمّا وصل بدر والرسول إلى همذان تخلّف بدر، وسار الرسول إليه، فامتعض من قوله، وخالف طُغْرلبك، وسار إلى حُلوان، وأراد أخذها، فلم يمكنه، وتردّد بين رُوشَنقباذ والبَرَدان، وكاتب الملكَ الرحيم، وصار في طاعته، فسار إليه إبراهيم بن إسحاق، وسخت كمان، وهما من أعيان عسكر طُغْرلبك، في عسكر مع بدر بن المُهلهِل فأوقعوا به فانهزم هو وأصحابه، وعاد الغُزُّ عنهم إلى حُلوان، وسار بدر إلى شهرزور في طائفة من الغزّ، ومضى سعدي إلى قلعة روشنقباذ.

---

(١) الخبر باختصار شديد في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٤.
(٢) في (أ): «الطاعة».

ذكر عود الأمير أبي منصور إلى شيراز

في هذه السنة، في شوّال، عاد الأمير أبو منصور فولاستون ابن الملك أبي كاليجار إلى شيراز مستولياً عليها، وفارقها أخوه الأمير أبو سعد.

وكان سبب ذلك أنّ الأمير أبا سعد كان قد تقدّم معه في دولته إنسان يُعرف بعميد الدين أبي نصر بن الظهير، فتحكّم معه، واطّرح الأجناد واستخفّ بهم، وأوحش أبا نصر بن خسرو، صاحب قلعة إصطَخر، الذي كان قد استدعى الأمير أبا سعد وملّكه.

فلمّا فعل ذلك اجتمعوا على مخالفته وتألّبوا عليه، وأحضر أبو نصر بن خسرو الأميرَ أبا منصور بن أبي كاليجار إليه، وسعى في اجتماع الكلمة عليه، فأجابه كثير من الأجناد لكراهتهم لعميد الدين، فقبضوا عليه، ونادوا بشعار الأمير أبي منصور، وأظهروا طاعته، وأخرجوا الأمير أبا سعد عنهم فعاد إلى الأهواز في نفر يسير، ودخل الأمير أبو منصور إلى شيراز مالكاً لها، مستولياً عليها، وخطب فيها لطُغْرلبك، وللملك الرحيم، ولنفسه بعدهما.

ذكر إيقاع البساسيريّ بالأكراد والأعراب

وفيها، في شوّال، وصل الخبر إلى بغداذ بأنّ جَمْعاً من الأكراد وجَمْعاً من الأعراب قد أفسدوا في البلاد، وقطعوا الطريق ونهبوا القرى، طمعاً في السلطنة بسبب الغُزّ، فسار إليهم البساسيريُّ جريدةً، وتبِعهم إلى البَوَازِيج، فأوقع بطوائف كثيرة منهم، وقتل فيهم، وغنم أموالهم، وانهزم بعضهم فعبروا الزّاب عند البَوَازِيج فلم يدركهم، وأراد العبور إليهم، وهم بالجانب الآخر، وكان الماء زائداً، فلم يتمكّن من عبوره، فنجَوا.

ذكر عدّة حوادث

[الوفيات]

في هذه السنة توفيّ الشريف أبو تمام محمّد بن محمّد بن عليّ الزينبيُّ[1]، نقيب النُّقباء، وقام بعده في النقابة ابنه أبو علّي.

---

(١) انظر عن (الزينبي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٢٠ رقم ١٥٤ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها توفّي أبو إسحاق إبراهيم بن عمر[1] بن أحمد البرمكيُّ، وكان مكثراً من الحديث، سمع ابن مالك القطيعيَّ وغيره، وإنّما قيل له البرمكيُّ لأنّه سكن محلّة ببغداذ تُعرف بالبرامكة، وقيل: كان من قرية عند البصرة تُعرف بالبرمكيّة.

(١) في طبعة صادر ٥٩٦/٩ «إبراهيم بن محمد» والتصحيح من مصادر الترجمة التي ذكرتها في تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٠٩، ١١٠ رقم ١٣٤.

٤٤٦
ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة

ذكر فتنة الأتراك ببغداذ

في هذه السنة، في المحرّم، كانت فتنة الأتراك ببغداذ.

وكان سببها أنّهم تخلّف لهم على الوزير الذي للملك الرحيم مبلغ كثير من رسومهم، فطالبوه، وألّحوا عليه، فاختفى في دار الخلافة، فحضر الأتراك بالديوان وطالبوه، وشكوا ما يلقونه منه من المطال بمالهم، فلم يجابوا إلى إظهاره، فعدلوا عن الشكوى منه إلى الشكوى من الديوان، وقالوا: إنّ أرباب المعاملات قد سكنوا بالحريم، وأخذوا الأموال، وإذا طلبناهم بها يمتنعون بالمقام بالحريم، وانتصب الوزير والخليفة لمنعنا عنهم، وقد هلكنا.

فتردّد الخطاب منهم، والجواب عنه، فقاموا نافرين، فلمّا كان الغد ظهر الخبر أنّهم على عزم حصر دار الخلافة، فانزعج الناس لذلك، وأخفوا أموالهم، وحضر البساسيريُّ دار الخلافة، وتوصّل إلى معرفة خبر الوزير، فلم يظهر له على خبر، فطُلب من داره ودور من يُتّهم به، وكُبست الدور، فلم يظهروا له على خبر.

وركب جماعة من الأتراك إلى دار الروم فنهبوها، وأحروا البِيَع والقلاّيات، ونهبوا فيها دار أبي الحسن بن عُبيد، وزير البساسيريِّ.

وقام أهل نهر المُعلّى، وباب الأَزَج، وغيرهما من المحالّ، في منافذ الدروب لمنع الأتراك، وانخرق الأمر، ونهب الأتراك كلّ من ورد إلى بغداذ، (فغلت الأسعار)[1]،

---

(١) في (أ): «فقلت الأسفار».

وعُدِمت الأقوات، وأرسل إليهم الخليفة ينهاهم، فلم ينتهوا، فأظهر أنّه يريد الانتقال عن بغداذ، فلم يُزجَروا.

هذا جميعه والبساسيريُّ غير راضٍ بفعلهم، وهو مقيم بدار الخليفة. وتردّد الأمر إلى أن ظهر الوزير، وقام لهم بالباقي من مالهم من ماله، وأثمان دوابّه، وغيرها، ولم يزالوا في خبطٍ وعسف، فعاد طمع الأكراد والأعراب أشدّ[1] منه أوّلاً، وعاودوا الغارة والنهب والقتل، فخربت البلاد وتفرّق أهلها.

وانحدر أصحابُ قُريش بن بدران من الموصل طامعين، فكبسوا حلل كامل بن محمّد بن المسيّب، وهي بالبَرَدان، فنهبوها، وبها دوابّ، وجِمال بخاتيّ للبساسيريّ، فأخذوا الجميع، ووصل الخبر إلى بغداذ، فازداد خوف الناس من العامّة والأتراك، وعظُم انحلال أمر السلطنة بالكليّة، وهذا من ضرر الخلاف[2].

ذكر استيلاء طُغْرلبك على أذربيجان وغزو الروم

في هذه السنة سار طُغْرلبك إلى أَذَرْبيجان، فقصد تِبريز، وصاحبها الأمير أبو منصور وهسوذان بن محمّد الرواديُّ، فأطاعه وخطب له وحمل إليه ما أرضاه به، وأعطاه ولدَهُ رهينةً، فسار طُغْرلبك عنه إلى الأمير أبي الأسوار، صاحب جَنْزة، فأطاعه أيضاً وخطب له، وكذلك سائر تلك النواحي أرسلوا إليه يبذلون الطاعة والخطبة.

وانقادت[3] العساكر إليه، فأبقى[4] بلادهم عليهم، وأخذ رهائنهم وسار إلى أرمينية، وقصد ملازكرد، وهي للروم، فحصرها وضيّق على أهلها، ونهب ما جاورها من البلاد وأخربها، وهي مدينة حصينة. فأرسل إليه نصر الدولة بن مروان، صاحب ديار بكر، الهدايا الكثيرة والعساكر، وقد كان خطب له قبل هذا الوقت وأطاعه، وأثّر السلطان طُغْرلبك في غزو الروم، آثاراً عظيمة، ونال منهم من النهب والقتل والأسر شيئاً كثيراً.

---

(١) في الأوربية: «اشتدّ».

(٢) المنتظم ٨/١٥٩، ١٦٠ (١٥/٣٤٣، ٣٤٤)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٥، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٥٧.

(٣) في (أ): «وإنفاذ».

(٤) في الباريسية: «فألقى».

وبلغ في غزوته هذه إلى أَرْزَن الروم، وعاد إلى أَذَرْبيجان، لمّا هجم الشتاء، من غير أن يملك ملازكرد، وأظهر أنّه يقيم إلى أن ينقضي الشتاء، ويعود يتمّ غَزَاته، ثم توجّه إلى الرَّيّ فأقام بها إلى أن دخلت سنة سبْعٍ وأربعين [وأربعمائة]، وعاد نحو العراق[1]، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر محاربة بني خفاجة وهزيمتهم

في هذه السنة، في رجب، قصد بنو خفاجة الجامعَيْن، وأعمال نور الدولة دُبَيْس، ونهبوا وفتكوا في أهل تلك الأعمال، وكان نور الدولة شرقيّ الفُرات، وخفاجة غربيّها، فأرسل نور الدولة إلى البساسيريّ يستنجده، فسار إليه، فلمّا وصل عَبَرَ الفراتَ من ساعته، وقاتل خفاجة وأجلاهم عن الجامعَيْن، فانهزموا منه ودخلوا البرَّ، فلم يتبعهم، وعاد عنهم، فرجعوا إلى الفساد، فاستعدّ لسلوك[2] البرّ خلفهم أين قصدوا، وعطف نحوهم قاصداً حربهم، فدخلوا البرّ أيضاً، فتبِعهم فلحِقهم بخفّان، وهو حصن بالبرّ، فأوقع بهم، (وقتل منهم)[3]، ونهب أموالهم وجِمالهم وعبيدهم وإماءهم، وشرّدهم كلَّ مشرَّد، وحصر خفّان ففتحه وخرّبه، وأراد تخريب القائم به، وهو بناء من آجُرّ وكلس، وصانع عنه صاحبه ربيعة بن مُطاع بمالٍ بذله، فتركه وعاد إلى البلاد.

وهذا القائم قيل إنّه كان عَلَماً تهتدي به السفن، لما كان البحر يجيء إلى النجف[4]، ودخل بغداذ ومعه خمسة وعشرون رجلاً من خفاجة، عليهم البرانس، وقد شدّهم بالحبال إلى الجِمال، وقتل منهم جماعة، وصلب جماعة، وتوجّه إلى حَرْبَى فحصرها، وقرّر على أهلها تسعة[5] آلاف دينار وأمّنهم.

---

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٢ (سويم) ١٠، تاريخ مختصر الدول ١٨٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٢، العبر ٣/ ٢١٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٩، دول الإسلام ١/ ٢٦٢، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ٦٥.

(٢) في (أ): «الدخول».

(٣) من (أ).

(٤) في (أ) زيادة: «وعاد نور الدولة».

(٥) في (أ): «سبعة».

ذكر استيلاء قُرَيش بن بدران على الأنبار
والخطبة لطغرلبك بأعماله

في شعبان من هذه السنة حصر الأمير أبو المعالي قُرَيش بن بدران، صاحب الموصل، مدينة الأنبار وفتحها، وخطب لطُغْرلبك فيها وفي سائر أعماله، ونهب ما كان فيها للبساسيريّ وغيره، ونهب حلل أصحابه بالخالص، وفتحوا بُثُوقَه، فامتعض البساسيريُّ من ذلك، وجمع جموعاً كثيرة، وقصد الأنبار وحَرْبَى فاستعادهما[1]، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر وفاة القائد ابن حمّاد وما كان من أهله بعده

في هذه السنة، في رجب، تُوُفّي القائد ابن حمّاد، وأوصى إلى ولده محسّن، وأوصاه بالإحسان إلى عمومته، فلمّا مات خالف ما أمره به، وأراد عزل جميعهم، فلمّا سمع عمّه يوسف بن حمّاد بما عزم عليه خالفه، وجمع جمعاً عظيماً وبنى[2] قلعة في جبل منيع وسمّاها الطيّارة.

ثم إنّ محسّناً قتل من عمومته أربعة، فازداد يوسف نفوراً؛ وكان ابن عمّه بُلُكّين بن محمّد في بلده أفريون، فكتب إليه محسّن يستدعيه، فسار إليه، فلمّا قرُب منه أمر محّسن رجالاً من العرب أن يقتلوه، فلمّا خرجوا قال لهم أميرهم خليفة بن مكن: إنّ بُلُكّين لم يزل محسناً إلينا، فكيف نقتله؟ فأعلموه ما أمرهم به محسّن، فخاف، فقال له خليفة: لا تخف، وإن كنتَ تريد قتْل محسّن فأنا أقتله لك. فاستعدّ بُلُكّين لقتاله، وسار إليه، فلمّا علم محسّن بذلك وكان قد فارق القلعة عاد هارباً إليها، فأدركه بلكّين فقتله وملك القلعة ووليَ الأمر، وكان ملكه القلعة سنة سبْعٍ وأربعين وأربعمائة.

ذكر ابتداء الوحشة بين البساسيريّ والخليفة

في شهر رمضان من هذه السنة ابتدأت الوحشة بين الخليفة والبساسيريّ.

---

(١) المنتظم ٨/ ١٦٠ (١٥/ ٣٤٤)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٥، البداية والنهاية ١٢/ ٦٥، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٧.

(٢) في الأوربية: «وبنا».

وسبب ذلك أنّ أبا الغنائم وأبا سعد ابنَي المحلبان، صاحبَيْ قُرَيش بن بدران، وصلا إلى بِغداذ سرّاً، فامتعض البساسيريُّ من ذلك، وقال: هؤلاء وصاحبهم كبسوا حِلَل أصحابي، ونهبوا، وفتحوا البثوق، وأسرفوا في إهلاك الناس؛ وأراد أخْذهم فلم يُمكنّ منهم، فمضى إلى حَربَى، وعاد ولم يقصد دار الخلافة على عادته، فنسب ذلك إلى رئيس الرؤساء.

واجتازت به سفينة لبعض أقارب رئيس الرؤساء، فمنعها وطالب بالضّريبة التي عليها، وأسقط مشاهرات الخليفة من دار الضَّرْب، وكذلك مشاهرات رئيس الرؤساء، وحواشي الدار، وأراد هدم دُور بني المحلبان، فمُنع منه، فقال: ما أشكو إلاّ من رئيس الرؤساء الذي قد خرّب البلاد وأطمع الغُزَّ وكاتبهم.

ودام ذلك إلى ذي الحجّة، فسار البساسيريُّ إلى الأنبار، وأحرق ناحيتَيْ دُمّا[1]، والفلّوجَة، وكان أبو الغنائم بن المحلبان بالأنبار قد أتاها من بغداذ، وورد نور الدولة دُبَيْس إلى البساسيريّ، معاوناً له على حصرها، ونصب البساسيريُّ عليها المجانيق، فهدم برجاً، ورماهم بالنِّفط فأحرق أشياء كان قد أعدّها أهل البلد لقتاله، ودخلها قهراً، فأسر مائة نفس من بني خفاجة، وأسر أبا الغنائم بن المحلبان، فأُخذ وقد ألقى نفسه في الفرات، ونهب الأنبار، وأسر من أهلها خمسمائة رجل، وعاد إلى بغداذ وبين يديه أبو الغنائم على جمل، وعليه قميص أحمر، وعلى رأسه برنس، وفي رِجْليه قيدٌ، وأراد صلبه وصلْب مَن معه من الأسرى، فسأله نور الدولة أن يؤخّر ذلك حتّى يعود، وأتى البساسيريُّ إلى مقابِل التاج، فقبّل الأرض، وعاد إلى منزله، وترك أبا الغنائم لم يصلبْه، وصلب جماعة من الأسرى، فكان هذا أوّل الوحشة[2].

ذكر وصول الغُزّ إلى الدَّسكرة وغيرها

في شوّال من هذه السنة وصل إبراهيم بن إسحاق، وهو من الأمراء الغُزّيّة

---

(١) في الأوربية: «دمما».

(٢) المنتظم ٨/ ١٦٠، ١٦١ (١٥/ ٣٤٤، ٣٤٥)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٥، ١٦، البداية والنهاية ١٢/ ٦٥، إتعاظ الحنفا / ٢٣٢.

السلجوقيّة، إلى الدَّسكرة، وكان مقيماً بحُلوان، فلمّا وصل إليها قاتله أهلها، ثم ضعفوا وعجزوا وهربوا متفرّقين، ودخل الغُزُّ البلد فنهبوه أقبح نهبٍ، وضربوا النساء وأولادهنّ، فاستخرجوا بذلك أموالاً كثيرة، وساروا إلى روشنقباذ لفتحها، وهي بيد سعْدي، وأمواله فيها وفي قلعة البَرَدان.

وكان سعْدي قد فارق طاعة السلطان طُغْرلبك، على ما ذكرناه، فلم يفتحها، وأجلى أهل تلك البلاد، وخُرّبت القُرى، ونُهبت أموال أهلها.

وسار طائفةٌ أخرى من الغُزّ إلى نواحي الأهواز وأعمالها، فنهبوها واجتاحوا أهلها، وقوي طمع الغُزّ في البلاد وانخذل الديلم ومَن معهم من الأتراك، وضعُفت نفوسهم.

ثم سيّر طُغْرلبك الأمير أبا علّي ابن الملك أبي كاليجار، الذي كان صاحب البصرة، في جيشٍ من الغُزّ إلى خُوزستان ليملكها، فوصل سابورْ خُواست، وكاتب الدَّيلمَ الذين بالأهواز يدعوهم إلى طاعته، ويعِدهم الإحسانَ إنْ أجابوا، والعقوبة إن امتنعوا فمنهم من أطاع، ومنهم من خالف، فسار إلى الأهواز فملكها واستولى عليها، ولم يعرض لأحدٍ في مالٍ ولا غيره، فلم يوافقه الغُزُّ على ذلك، ومدّوا أيديهم إلى النهب والغارة والمصادرة، ولقي الناس منهم عَنَتاً وشِدّة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كثُرت الصّراصر ببِغداذ، حتّى كان يُسمع لها بالليل دويّ كدويّ الجراد إذا طار[1].

[الوَفَيَات]

وفيها، في ذي الحجّة، توفّي أبو حسّان المقلّد بن بدران أخو قُريش بن بدران، صاحب الموصل.

---

(١) المنتظم ٨/ ١٦٠ (١٥/ ٣٤٤).

وفيهـا، فـي شـوّال، تـوفّـي قسطنطيـن ملـك الـروم[١]، زوج تـذورة[٢] بنـت قسطنطين، الموسومة بالملك، وإنّما ملك قسطنطين هذا حيث تزوّجها.

وفيها توفّي عبدالله بن محمّد بن عبد الرحمن أبو محمد[٣] الأصبهانيُّ، المعروف بابن اللبّان[٤]، الفقيه الشافعيُّ، وهو من أصحاب أبي حامد الإسَفَرايينيّ، وروى الحديث عن ابن المقري، والمخلص، وغيرهما.

وتوفّي فيها أحمد بن عمر بن رَوح[٥] أبو الحسين[٦] النَّهْروانيُّ، وله شِعْر جيّد، فمنه أنّه سمع رجلاً يتغنّى وهو يقول:

وما طلبوا سوى قتلي، فهان عليّ ما طلبوا

فاستوقفه وقال له: أضِفْ إليه:

(على قَلبي الأحبّةُ بالتَّمادِي في الهوَى غلَبُوا)[٧]
وبالهِجرانِ من عَيْنيَّ طيبَ النومِ قد سَلبُوا[٨]
وما طلَبُوا سِوى قتلي، فهانَ عليّ ما طلَبوا[٩]

---

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤١ (سويم) ١٠.

(٢) في الباريسية: «بدارة».

(٣) في طبعة صادر ٩/ ٦٠٤ «أبو عبدالله»، والمثبت عن المصادر.

(٤) في (أ): «الكبان» والمثبت هو الصحيح. انظر عن (ابن اللّبان) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٣٢، ١٣٣ رقم ١٦٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (ابن روح) في: تاريخ الاسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٠٩ رقم ١٣٢ (وفيات الأعيان ٤٤٥ هـ.) وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في طبعة صادر ٩/ ٦٠٤ «أبو الحسن»، والتصحيح من المصادر.

(٧) هذا البيت من (أ). وهو في المنتظم:

على قتلي الأحبّة بالتمادي في الجفا غلبوا

(٨) في المنتظم:

وبالهجران طيب النوم من عيني قد سلبوا

(٩) المنتظم ٨/ ١٥٨ (١٥/ ٣٤١).

٤٤٧

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة

ذكر استيلاء الملك الرحيم على شيراز وقطع خطبة طُغْرلبك فيها

في هذه السنة، في المحرّم، سار قائد كبير من الدَّيلم، يسمّى فولاذ، وهو صاحب قلعة إصطَخْر، إلى شيراز، فدخلها وأخرج عنها الأمير أبا منصور فولاستون، ابن الملك أبي كاليجار، فقصد فَيْرُوزَابَاذَ وأقام بها.

وقطع فولاذ خطبة السلطان طُغْرلبك في شيراز، وخطب للملك الرحيم، ولأخيه أبي سَعْد، وكاتبهما يُظهر لهما الطاعة، (فعلما أنّه)[1] يخدعهما بذلك، فسار إليه أبو سعد، وكان بأرَّجان، ومعه عساكر كثيرة، واجتمع هو وأخوه الأمير أبو منصور على قصد شيراز ومحاصرتها على قاعدة استقرّت بينهما من طاعة أخيهما الملك الرحيم، فتوجّها نحوها[2] فيمن معهما من العساكر، وحصرا فولاذ فيها.

وطال الحصار إلى أن عدم القُوت فيها، وبلغ السعر سبعة أرطال حنطة بدينار، ومات أهلها جوعاً، وكان منَ بقي فيها نحو ألف إنسان، وتعذّر المقام في البلد على فولاذ، فخرج هارباً مع مَن في صُحبته من الدَّيلم إلى نواحي البيضاء وقلعة إصطَخْر، ودخل الأمير أبو سَعْد، والأمير أبو منصور شيراز، وعساكرهما، وملكوها[3]، وأقاموا بها[4].

---

(١) في (أ): «فلما علما».

(٢) في الأوربية: «نحوهما».

(٣) في الأوربية: «وملوكهما».

(٤) تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦ هـ.) ص ٢٠، مآثر الإنافة ١/ ٣٣٧.

ذكر قتل أبي حرب بن مروان صاحب الجزيرة

في هذه السنة قُتل الأمير أبو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان، وكان والده قد سلّم إليه الجزيرة وتلك النواحي ليقيم بها ويحفظها، وكان شجاعاً، مقداماً، فاستبدّ بالأمر، واستولى عليه، فجرى بينه وبين الأمير مُوسَك بن المجلّي ابن زعيم الأكراد البُختيّة، وله حصون منيعة شرقيّ الجزيرة، نَفرةٌ.

ثم راسله أبو حرب واستماله، وسعى أن يزوّجه ابنة الأمير أبي طاهر البَشْنوي، صاحب قلعة فَنَك وغيرها من الحصون، وكان أبو طاهر هذا ابن أخت نصر الدولة بن مروان، فلم يخالف أبو طاهر، صاحب فَنَك، أبا حرب في الذي أشار به من تزويج الأمير موسك، فزوّجه ابنته ونقلها إليه، فاطمأنّ حينئذٍ موسك، وسار إلى سليمان، فغدر به، وقبض عليه وحبسه.

ووصل السلطان طُغْرُلبك إلى تلك الأعمال لمّا توجّه إلى غزو الروم، على ما ذكرناه، فأرسل إلى نصر الدولة يشفع في مُوسَك، فأظهر أنّه توفّي، فشقّ ذلك على حميه أبي طاهر البشنويّ، وأرسل إلى نصر الدولة وابنه سليمان فقال لهما: حيث أردتما قتله، فلِمَ جعلتما ابنتي طريقاً إلى ذلك، وقلّدتموني العار؟ وتنكّر لهما وخافه أبو حرب، فوضع عليه مَن سقاه سُمّاً فقتله.

ووليَ بعده ابنه عُبيد[1] الله، فأظهر له أبو حرب المودّة استصلاحاً له، وتبرّؤاً إليه من كلّ ما قيل عنه، واستقرّ الأمر بينهما على الاجتماع وتجديد الأيمان، فنزلوا من فَنَك، وخرج إليهم أبو حرب من الجزيرة في نفر قليل فقتلوه.

وعرف والده ذلك، فأقلقه وأزعجه، وأرسل ابنه نصراً إلى الجزيرة ليحفظ تلك النواحي، ويأخذ بثأر أخيه، وسيّر معه جيشاً كثيفاً.

وكان الأمير قُريش بن بدران، صاحب الموصل، لمّا سمع قتل أبي حرب انتهز الفرصة، وسار إلى الجزيرة ليملكها، وكاتب البُختيّة والبشنويّة، واستمالهم، فنزلوا إليه واجتمعوا معه على قتال نصر بن مروان، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً كثر فيه القتلى، وصبر الفريقان، فكانت الغلبة أخيراً لابن مروان، وجُرح قُريش جراحة قويّة

---

(١) في الباريسية: «عبد».

بزوبين رُمي به، وعاد عنه، وثبت أمر ابن مروان بالجزيرة، وعاود مراسلة البشنويّة والبختيّة، واستمالهم لعلّه يجد فيهم طمعاً، فلم يطيعوه.

ذكر وثوب الأتراك ببغداذ بأهل البساسيريّ والقبض عليه ونهب دُوره وأملاكه وتأكّد الوحشة بينه وبين رئيس الرّؤساء

في هذه السنة ثارت فتنة ببغداذ بالجانب الشرقيّ بين العامّة، وثار جماعة من أهل السُّنّة، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحضروا الديوان، وطلبوا أن يؤذَن لهم في ذلك، وأن يُتقدّم إلى أصحاب الديوان بمساعدتهم، فأُجيبوا إلى ذلك، وحدث من ذلك شرّ كثير.

ثمّ إنّ أبا سعد النصرانيَّ، صاحب البساسيريّ، حمل في سفينة ستّمائة جرّة خمراً ليُحدرها إلى البساسيريّ بواسط، في ربيع الآخر، فحضر ابن سُكّرة الهاشميُّ وغيره من الأعيان في هذا الباب، وتبِعهم خلْق كثير، وحاجب باب المراتب من قِبَل[1] الديوان، وقصدوا السفينة، وكسروا جِرارَ الخمر وأراقوها.

وبلغ ذلك البساسيريَّ، فعظُم عليه، ونسبه إلى رئيس الرؤساء، وتجدّدت الوحشة، فكتب فتاوَى أخذ فيها خطوط الفقهاء الحنفيّة بأنّ الذي فعل من كَسْر الجرار [واراقة الخمر] تَعدّ غير واجب، (وهي ملك رجل نصرانيّ، لا يجوز، وتردّد القول في هذا المعنى)[2]، فتأكّدت الوحشة من الجانبَيْن، ووضع رئيس الرؤساء الأتراك البغداذيّين على ثلب البساسيريّ والذّمّ له، ونسب كلّ ما يجري عليهم من نقْضٍ إليه، فطمعوا فيه، وسلكوا في هذا المعنى زيادةً على ما أراد رئيس الرؤساء، وتمادت الأيّام إلى رمضان، فحضروا دار الخليفة، واستأذنوا في قصد دُور البساسيريّ ونهبها، فأذِن لهم في ذلك، فقصدوها ونهبوها وأحرقُوها، ونكّلوا[3] بنسائه وأهله ونوّابه، ونهبوا دوابّه وجميع ما يملكه ببغداذ.

---

(١) في (أ): «جانب».

(٢) من (أ).

(٣) في الأوربية: «ووكلوا».

وأطلق رئيس الرؤساء لسانه[1] في البساسيريّ وذمّه، ونسبه إلى مكاتبة المستنصر، صاحب مصر، وأفسد الحال مع الخليفة إلى حدّ لا يُرجى صلاحه، وأرسل إلى الملك الرحيم يأمره بإبعاد البساسيريّ، فأبعده، وكانت هذه الحالة من أعظم الأسباب في ملك السلطان طُغْرلبك العراق[2]، وقبْض الملك الرحيم، وسيرد من ذلك ما تراه إن شاء الله تعالى.

ذكر وصول طُغْرلبك إلى بغداذ والخطبة له بها

قد ذكرنا قبلُ مسير طُغْرلبك إلى الرَّيّ، بعد عَوده من غزو الروم، للنظر في ذلك الطرف، فلمّا فرغ من الرَّيّ عاد إلى هَمَذان في المحرّم من هذه السنة، وأظهر أنّه يريد الحجّ، وإصلاح طريق مكّة، والمسير إلى الشام ومصر، وإزالة المستنصر العلويّ صاحبها.

وكاتب أصحابه بالدِّينَوَر وقَرمِيسِين وحُلوان[3] وغيرها[4]، فأمرهم بإعداد الأقوات والعلوفات. فعظم الإرجَافُ ببغداذ، وفتّ في أعضاد الناس، وشغب الأتراك ببغداذ، وقصدوا ديوان الخلافة.

ووصل السلطان طُغرلبك إلى حُلوان، وانتشر أصحابه في طريق خُراسان، فأجفل الناس إلى غربيّ بغداذ، وأخرج الأتراك خيامهم إلى ظاهر بغداذ.

وسمع الملك الرحيم بقرب طُغْرلبك من بغداذ، فأصعد من واسط إليها، وفارقه البساسيريُّ في الطريق لمراسلة وردت من القائم في معناه إلى الملك الرحيم أنّ البساسيريَّ خلع الطاعة، وكاتب الأعداء، يعني المصريّين، وأنّ الخليفة له على الملك عهود، وله على الخليفة مثلها، فإن آثَرَهُ فقد قطع ما بينهما، وإن أبعده وأصعد إلى بغداذ تولّى الديوان تدبير أمره؛ فقال الملك الرحيم ومَن معه: نحن لأوامر الديوان متبّعون، وعنه منفصلون.

---

(١) من (أ).

(٢) في الباريسية: «بغداد». وعلى الهامش: «العراق».

(٣) في (أ): «وحران».

(٤) من (أ).

وكان سبب ذلك ما ذُكر. وسار البساسيريُّ إلى بلد نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد لمصاهرة بينهما، وأصعد الملك الرحيم إلى بغداذ. وأرسل طُغْرلبك رسولاً إلى الخليفة يبالغ في إظهار الطاعة والعبوديّة، وإلى الأتراك البغداذيّين يعدهم الجميل والإحسان. فأنكر الأتراك ذلك، وراسلوا الخليفة في المعنى، وقالوا: إنّنا فعلنا بالبساسيريّ ما فعلنا، وهو كبيرنا، ومقدّمنا، بتقدّم أمير المؤمنين، ووعدنا أمير المؤمنين بإبعاد[1] هذا الخَصْم عنّا، ونراه قد قرب منّا، ولم يُمنع من المجيء. وسألوا التقدّم عليه (في العَود)[2]، فغُولطوا في الجواب، وكان رئيس الرؤساء يُؤْثر مجيئهُ، ويختار انقراض الدولة الديلميّة.

ثمّ إنّ الملك الرحيم وصل إلى بغداذ منتصف رمضان[3]، وأرسل إلى الخليفة يُظهر له العبوديّة، وأنّه قد سلّم أمره إليه ليفعل ما تقتضيه العواطف معه في تقرير القواعد[4] مع السلطان طُغْرلبك، وكذلك قال من مع الرحيم من الأمراء، فأُجيبوا بأنّ المصلحة أن يُدخل الأجناد خيامهم من ظاهر بغداذ، وينصبوها بالحريم، ويُرسلوا رسولاً إلى طُغْرلبك يبذلون له الطاعة والخطبة، فأجابوا إلى ذلك وفعلوه، وأرسلوا رسلاً إليه، فأجابهم إلى ما طلبوا، ووعدهم الإحسان إليهم.

وتقدّم الخليفة إلى الخطباء بالخطبة لطُغْرلبك بجوامع بغداذ، فخُطب له يوم الجمعة لثمانٍ بقين من رمضان من السنة. وأرسل طُغْرُلبك يستأذن الخليفة في دخول بغداذ، فأذِن له، فوصل إلى النّهروان، وخرج الوزير رئيس الرؤساء إلى لقائه في موكبٍ عظيمٍ من القضاة، والنقباء، والأشراف، والشهود، والخَدَم، وأعيان الدولة، وصحِبه أعيان الأمراء من عسكر الرحيم، فلمّا علم طُغْرلبك بهم أرسل إلى طريقهم الأمراء، ووزيره أبا نصر الكندريَّ، فلمّا وصل رئيس الرؤساء (إلى السلطان)[5] أبلغه رسالة الخليفة، واستحلفه للخليفة، وللملك الرحيم، وأمراء الأجناد، وسار طُغْرلبك ودخل بغداذ يوم الإثنين لخمسٍ بقين من الشهر، ونزل بباب الشّمّاسيّة، ووصل إليه

---

(١) في الأوربية: «بإعادة».
(٢) من (أ).
(٣) في (أ): «النهار».
(٤) في (أ): «قاعدته».
(٥) من (أ).

قُريش بن بدران، صاحب الموصل، وكان في طاعته قبل هذا الوقت على ما ذكرناه.

ذكر وثوب العامّة ببغداذ بعسكر السلطان طغرلبك وقبض الملك الرحيم

لمّا وصل السلطان طُغْرلبك بغداذ دخل عسكره البلد للامتيار، وشراء ما يريدونه من أهلها، وأحسنوا معاملتهم، فلمّا كان الغد، وهو يوم الثلاثاء، جاء بعض العسكر إلى باب الأزَج، وأخذ واحداً من أهله ليطلب[1] منه تبناً، وهو لا يفهم ما يريدون، فاستغاث عليهم، وصاح العامّة بهم، ورجموهم، وهاجوا عليهم.

وسمع الناس الصياح، فظنّوا أنّ الملك الرحيم وعسكره قد عزموا على قتال طُغْرلبك، فارتجّ البلد من أقطاره، وأقبلوا من كلّ حَدَبٍ يَنْسِلُون، يقتلون[2] من الغُزّ من وُجد في محالّ بغداذ، إلاّ أهل الكرخ فإنّهم لم يتعرّضوا إلى الغُزّ، بل جمعوهم وحفظوهم.

وبلغ السلطانَ طُغْرلبك ما فعله أهل الكرْخ من حماية أصحابه، فأمر بإحسان معاملتهم. فأرسل عميد المُلك، الوزير، إلى عدنان بن الرضي، نقيب العلويّين، يأمره بالحضور، فحضر، فشكره عن السلطان، وترك عنده خيلاً بأمر السلطان تحرسه وتحرس المحلّة.

وأمّا عامّة بغداذ، فلم يقنعوا بما عملوا، حتّى خرجوا ومعهم جماعة من العسكر إلى ظاهر بغداذ، يقصدون العسكر السلطانيّ، فلو تبِعهم الملك الرحيم وعسكره لبلغوا ما أرادوا، لكن تخلّفوا، ودخل أعيان أصحابه إلى دار الخلافة، وأقاموا بها نفياً للتُّهمة عن أنفسهم، ظنّاً منهم أنّ ذلك ينفعهم.

وأمّا عسكر طُغْرلبك فلمّا رأوا فعل العامّة وظهورهم من البلد قاتلوهم، فقُتل بين الفريقَيْن جمْعٌ كثير، وانهزمت العامّة، وجُرح فيهم وأُسر كثير، ونهب الغُزُّ درب يحيى، ودرب سُلَيم، وبه دُور رئيس الرؤساء ودُور أهله، فنُهب الجميع، ونُهبت الرُّصافة، وتُرَب الخلفاء، وأُخذ منها من الأموال ما لا يُحصَى، لأنّ أهل تلك الأصقاع

---

(١) في (أ): «ليطلبوا».

(٢) في (أ): «وقتل».

نقلوا إليها أموالهم اعتقاداً منهم أنّها محترمة. ووصل النَّهب إلى أطراف نهر المُعلَّى[1] واشتدّ البلاء على النّاس وعظُم الخوف، ونقل الناس أموالهم إلى باب النُّوبي، وباب العامّة، وجامع القصر، فتعطّلت[2] الجمعات لكثرة الزحمة.

وأرسل طُغْرلبك من الغد إلى الخليفة يعتب، وينسب ما جرى إلى الملك الرحيم وأجناده، ويقول: إن حضروا بُرّئت ساحتُهم، وإن تأخّروا عن الحضور أيقنتُ[3] أنّ ما جرى إنّما كان بوضع منهم.

وأرسل للملك الرحيم وأعيان أصحابه أماناً لهم[4]، فتقدّم إليهم الخليفة بقصده، فركبوا إليه، وأرسل الخليفة معهم رسولاً يبرئهم ممّا خامر خاطر السلطان، فلمّا وصلوا إلى خيامه نهبهم الغُزّ، ونهبوا رُسُل الخليفة معهم، وأخذوا دوابّهم وثيابهم.

ولمّا دخل الملك الرحيم إلى خيمة السلطان أمر بالقبض عليه وعلى من معه، فقُبضوا كلّهم آخر شهر رمضان، وحُبسوا، ثمّ حُمل الرحيم إلى قلعة السِّيروان؛ وكانت ولاية الملك الرحيم على بغداذ ستّ سنين وعشرة أيّام، ونُهب أيضاً قريش بن بدران، صاحب الموصل، ومن معه من العرب، ونجا مسلوباً، فاحتمى بخيمة بدر بن المُهلهِل، فألقوا عليه الزَّلاليّ حتّى أخفوه بها عن الغُزّ.

ثم علم السلطان ذلك، فأرسل إليه، وخلع عليه، وأمره بالعَود إلى أصحابه وحِلله تسكيناً له.

وأرسل الخليفة إلى السلطان ينكر ما جرى من قبض الرحيم وأصحابه، ونهْب بغداذ، ويقول: إنّهم إنّما خرجوا إليك بأمري وأماني، فإنْ أطلقتَهم، وإلاّ فأنا أُفارق بغداذ، فإني إنّما اخترتُك واستدعيتُك اعتقاداً منّي أنّ تعظيم الأوامر الشريفة يزداد[5]، وحُرمة الحريم تعظم، وأرى الأمر بالضّدّ. فأطلق بعضهم، وأخذ جميع إقْطاعات[6]

---

(١) في (أ): «يعلى».

(٢) في (أ): «فتقطعت».

(٣) في (أ): «تيقنت».

(٤) في (أ): «لما نالهم».

(٥) في الأوربية: «تزداد».

(٦) في الأوربية: «إقطعات».

عسكر الرحيم، وأمرهم بالسعي في أرزاق يحصّلونها لأنفسهم. فتوجّه كثير منهم إلى البساسيريّ ولزموه، فكثُر جمعه ونفق سوقه.

وأمر طُغْرلبك بأخذ أموال الأتراك البغداذيّين، وأرسل إلى نور الدولة دُبَيْس يأمره بإبعاد البساسيريّ عنه، ففعل، فسار إلى رحبة مالك بالشام، على ما نذكره، وكاتب المستنصرَ، صاحب مصر، بالدخول في طاعته. وخطب نور الدولة لطُغْرلبك في بلاده، وانتشر الغُزُّ السلجوقيّة في سواد بغداذ، فنهبوا من الجانب الغربيّ من تكريت إلى النِّيل ومن الشرقيّ إلى النَّهروان وأسافل الأعمال، وأسرفوا في النهب، حتّى بلغ ثمن الثور ببغداذ خمسة قراريط إلى عشرة، والحمار بقيراطَيْن إلى خمسة[1]، وخرب السواد، وأجلى أهله عنه.

وضمن السلطان طُغرلبك البصرة والأهواز من هزارسب بن بنكير بن عياض بثلاثمائة ألف وستّين ألف دينار، وأقطعه أرّجان، وأمره أن يخطب لنفسه بالأهواز، دون الأعمال التي ضمنها، وأقطع الأمير أبا عليّ بن أبي كاليجار الملك قَرمِيسين وأعمالها، وأمر أهل الكرخ أن يؤذّنوا في مساجدهم سَحَراً: الصلاةُ خيرٌ من النَّوم؛ وأمر بعمارة دار المملكة، فعُمرت، وزيد فيها، وانتقل إليها في شوّال.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وقعت الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداذ، ومقدّم الحنابلة أبو يَعَلى[2] بن الفرّاء، وابن التميميّ، وتبِعهم من العامّة الجمّ الغفير، وأنكروا الجهرَ ببسم الله الرحمن الرحيم، ومنعوا من الترجيع في الأذان، والقنوت في الفجر، ووصلوا إلى ديوان الخليفة، ولم ينفصل حال، وأتى الحنابلة إلى مسجد بباب الشعير، فنَهوا إمامه عن الجهر بالبَسملة، فأخرج مُصحفاً وقال: أزيلوها من المصحف حتّى لا أتلوها[3].

---

(١) في المنتظم ٨/١٦٦ (١٥/٣٥٠): «حتى بلغ الثور خمسة قراريط إلى عشرة، والحمار قيراطين إلى خمسة»، وفي تاريخ الزمان لابن العبري ٩٩ «بيع ثور الغدّان بعشرين درهماً والجحش بعشرة دراهم». وانظر: نهاية الأرب ٢٦/٢٩١، والعبر ٣/٢١٢، وتاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٢، والبداية والنهاية ١٢/٦٧.

(٢) في طبعة صادر ٩/٦١٤ «أبو علي»، والتصحيح من المصادر.

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/١٧٤، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٣، تاريخ ابن الوردي ١/٣٥٥، البداية والنهاية ١٢/٦٦.

وفيها كان بمكّة غلاء شديد، وبلغ الخبز عشرة أرطال بدينار مغربيّ، ثم تعذّر وجوده، فأشرف الناس والحجّاج على الهلاك، فأرسل الله تعالى عليهم من الجراد ما ملأ الأرض فتعوّض الناس به، ثم عاد الحاجّ فسهل الأمر على أهل مكّة؛ وكان سبب هذا الغلاء عدمُ زيادة النيل بمصر عن العادة، فلم يُحْمَلْ منها الطعام إلى مكّة.

وفيها ظهر باليمن إنسان يُعرف بأبي كامل عليّ بن محمّد الصُّلَيحيّ، واستولى على اليمن، وكان معلّماً، فجمع إلى نفسه جمعاً، وانتمى إلى صاحب مصر، وتظاهر بطاعته، فكثُر جَمْعه، وتبعه، واستولى على البلاد، وقوي على ابن سادل[1] وابن الكُريديّ المقيمَين بها على طاعة القائم بأمر الله، وكان يتظاهر بمذهب الباطنيّة[2].

وفيها خطب محمود الخفاجيُّ للمستنصر العلويّ، صاحب مصر، بشفاثا والعين، وصار في طاعته.

[الوَفَيات]

وفيها، في شوّال، توفّي قاضي القضاة أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن ماكولا[3]، ومولده سنة ثمانٍ وستّين وثلاثمائة، وبقي في القضاء سبعاً[4] وعشرين سنة؛ وكان شافعيّاً، ورِعاً، نَزِهاً، أميناً، ووليَ بعده أبو عبدالله محمّد بن عليّ بن الدّامَغانيّ الحنفيُّ.

وفيها، في ذي القعدة، توفّي ذخيرة الدّين[5] أبو العبّاس محمّد ابن أمير المؤمنين، ومولده في جُمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.

---

(١) في (أ): «ساول».

(٢) المنتظم ٨/ ١٦٥ (١٥/ ٣٥٠).

(٣) انظر عن (ابن ماكولا) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ - ٤٦٠ هـ.) ص ١٤٧ رقم ١٩٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «سبع».

(٥) انظر عن (ذخيرة الدين) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ - ٤٦٠ هـ.) ص ١٦٣، ١٦٤ رقم ٢٢٩ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها قبض الملك الرحيم (قبل وصول طُغْرلبك إلى بغداذ)[1] على الوزير[2] أبي عبدالله عبد الرحيم[3] بن الحسين بن عبد الرحيم، وطُرح في بئرٍ في دار المملكة، وطُمّ عليه، وكان وزيراً متحكّماً في دولته.

وفيها، في المحرّم، توفّي القاضي أبو القاسم عليُّ بن المحّسن بن عليّ التنوخيُّ[4]، ومولده بالبصرة سنة خمسٍ وستّين وثلاثمائة، وخلّف ولداً صغيراً، وهو أبو الحسن محمّد بن عليّ[5]، ثم توفيّ في شوّال سنة أربعٍ وتسعين[6] وأربعمائة وانقرض بيته بموته.

قال القاضي أبو عبدالله بن الدامَغَانيّ: دخلتُ على أبي القاسم قبل موته بقليل، فأخرج إليّ ولده هذا من جاريته وبكى[7] فقلتُ: يعيش إن شاء الله وتُربّيه؛ فقال: هيهات! والله ما يتربّى إلاّ يتيماً؛ وأنشد:

أرى ولـدَ الفَتـى كَـلاًّ عليـه، لقـد سعِـدَ الـذي أمَسـى عَقِيمـا
فـإمّـا أن تـربّيـه عـدوّاً، وإمّـا أن تُخلّفَـه يَتِيمـا

فتربّى يتيماً كما قال[8].

(١) من الباريسية.
(٢) في (أ): «المعدل».
(٣) في طبعة صادر ٦١٥/٩ «عبد الرحمن»، والمثبت من (أ)، ومصادر ترجمته في تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٥٦، ١٥٧ رقم ٢١٢، ووقع في: المنتظم ١٦٦/٨ (١٥/ ٣٥٠): «أبو عبدالله بن عبد الرحيم».
(٤) انظر عن (التنوخي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٦١، ١٦٢ رقم ٢٢٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته، وقد وضعت له ترجمة مع مقدّمة كتابه: «الفوائد العوالي المؤرّخة»، ـ وصدر بتحقيقنا عن مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس ١٩٨٥ و١٩٨٧ ـ ص ٤٥ ـ ٦٩ ووقع في الطباعة وفاته (٤٧٤ هـ.) وهو خطأ مطبعيّ.
(٥) انظر عن (محمد بن علي بن المحسّن التنوخي) في ترجمة أبيه في (معجم الأدباء ١٤/ ١١٠ ـ ١٢٤).
(٦) في (أ): «وسبعين». والمثبت هو الصحيح كما في: معجم الأدباء ١١٢/١٤.
(٧) في الأوربية: «وبكّا».
(٨) معجم الأدباء ١١٢/١٤.

وفي جُمادى الأولى توفّي (أبو محمّد الحسن بن رجاء الدّهّان[١] اللُّغَويُّ.

وفي جُمادى الآخرة فيها تُوُفّي)[٢] أبو القاسم منصور بن عمر[٣] بن علي[٤] الكرخيُّ (من كرخ جُدّان)[٥]، الفقيه الشافعيُّ.

(وفي رجب توفّي أبو نصر أحمد بن عبدالله[٦] الثابتيُّ، الفقيه الشافعيُّ)[٧]، وهما[٨] من شيوخ أصحاب أبي حامد الإِسْفَرَايينيّ.

وفي شعبان توفّي أبو البركات حسين بن عليّ بن عيسى الرَّبَعيُّ[٩] النَّحْويُّ، وكان ينوب عن الوزراء ببغداذ.

---

(١) انظر عن (الدّهان) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٤٥ رقم ١٩٥.

(٢) ما بين القوسين من الباريسية.

(٣) في طبعة صادر ٦١٦/٩ «منصور بن حمزة»، والمثبت هو الصحيح عن مصادره التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٦٦، ١٦٧ رقم ٢٣٥، ومن (أ).

(٤) في طبعة صادر ٦١٦/٩ «إبراهيم»، والتصويب من (أ) والمصادر.

(٥) ما بين القوسين في الأوربية: «حدان».

(٦) في طبعة صادر ٦١٦/٩ «أحمد بن محمد»، والتصويب من: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٤١، ١٤٢ رقم ١٨٩ والمصادر التي ذكرتها في حاشيته.

(٧) ما بين القوسين من الباريسية.

(٨) في (أ): «وهو».

(٩) انظر عن (الربعي) في: المنتظم ٢٣٠/٨ (٣٥١/١٥ رقم ٣٣٢٤) وفيه: «الحسن بن علي».

٤٤٨

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

ذكر نكاح الخليفة ابنة داود أخي طغرلبك

في هذه السنة، في المحرّم، جلس أمير المؤمنين القائم بأمر الله جلوساً عامّاً، وحضر عميد الملك الكندريُّ، وزير طُغْرلبك، وجماعة من الأمراء منهم: أبو عليّ ابن الملك أبي كاليجار، وهزارسب بن بنكير بن عياض الكُرديّ، وابن أبي الشوك، وغيرهم من الأمراء الأتراك من عسكر طُغْرلبك.

وقام عميد الملك، وزير طُغْرلبك، وبيده دبّوسٌ، ثم خطب رئيس الرؤساء وعقد العقد على أرسلان خاتون، واسمها خديجة ابنة داود أخي السلطان طُغْرلبك[1]، وقبل الخليفة بنفسه النكاح، وحضر العقد نقيب النُّقباء أبو عليّ بن أبي تمام، وعدنان ابن الشريف الرضيّ، نقيب العلويّين، وأقضى القضاة الماورديُّ، وغيرهم، وأُهديتْ خاتون إلى الخليفة في هذه السنة أيضاً في شعبان، وكانت والدة الخليفة قد سارت ليلاً وتسلّمتها وأحضرتها إلى الدار[2].

---

(١) في (الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ١٩٠) «وعقد الخليفة عقداً على خديجة المدعوّة أرسلان خاتون بنت الأمير جغري بك والي خراسان، وهو أخو ركن الدولة، وكانت خديجة هذه مسمّاة لابن الخليفة ذخيرة الدين».

وبعد وفاة القائم تزوّجها علي بن قرامرز بن كاكويه الديلمي، فقال العماد الإصفهاني في «زبدة النصرة» ص ٥٢ «فاستبدلت عن القرشي ديلمياً، وعن الإمام أمّيّاً».

(٢) المنتظم ٨/ ١٦٩، ١٧٠ (١٦/ ٤)، ذيل تاريخ دمشق ٨٦، تاريخ الزمان ٩٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٤، تاريخ دولة آل سلجوق ١٣، العبر ٣/ ٢١٥، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٢٤، دول الإسلام ١/ ٢٦٣، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٥، البداية والنهاية ١٢/ ٦٧، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٦٠، شذرات الذهب ٣/ ٢٧٧.

ذكر الحرب بين عبيد المعزّ بن باديس
وعبيد ابنه تميم

في هذه السنة وقعت الحرب بين عبيد المعزّ، المقيمين بالمهديّة، وعبيد ابنه تميم، بسبب منازعة أدّتْ إلى المقاتلة، فقامت عامّة زَوِيلة وسائر مَن بها من رجال الأسطول مع عبيد تميم، فأخرجوا عبيد المعزّ، وقُتل منهم كثير، ومضي الباقون منهم يريدون المسير إلى القيروان، فوضع عليهم تميم العرب، فقتلوا منهم جمعاً غفيراً، وهذه النَّوبة هي سبب قَتل تميم مَن قَتَلَ من عبيد أبيه لمّا ملك.

ذكر ابتداء دولة الملثّمين

في هذه السنة كان ابتداء أمر المُلَثّمين، وهم عدّة قبائل يُنسبون إلى حِمْيَر، أشهرها[1]: لمتُونة، ومنها أمير المسلمين عليُّ بن يوسف بن تاشفين، وجدالة، ولمطة.

وكان أوّل مسيرهم من اليمن، أيّام أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، فسيّرهم إلى الشام، وانتقلوا إلى مصر، ودخلوا المغرب مع موسى بن نُصير، وتوجّهوا مع طارق إلى طنجة، فأحبّوا الانفراد، فدخلوا الصحراء واستوطنوها إلى هذه الغاية.

فلمّا كان هذه السنة توجّه رجل منهم، اسمه الجوهر، من قبيلة جدالة إلى إفريقة، طالباً للحجّ، وكان مُحِبّاً للدين وأهله، فمرّ بفقيهٍ بالقَيروان، وعنده جماعة يتفقّهون، قيل: هو أبو عمران الفاسيُّ في غالب الظَّنّ، فأصغى الجوهر إليه، وأعجبه حالهم.

فلمّا انصرف من الحجّ قال للفقيه: ما عندنا في الصّحراء من هذا شيء غير الشهادتَيْن، والصلاة في بعض الخاصّة، فابعث معي من يعلّمهم شرائع الإسلام! فأرسل معه رجلاً اسمه عبدالله بن ياسين الكُزوليّ، وكان فقيهاً، صالحاً، شهْماً، فسار معه حتّى أتيا قبيلة لمتونة، فنزل الجوهر عن جَمَله، وأخذ بزمام جمل عبدالله بن ياسين، تعظيماً لشريعة الإسلام، فأقبلوا إلى الجوهر يهنّئونه بالسلامة، وسألوه عن

---

(١) في (أ): «أشرها».

الفقيه فقال: هذا حامل سنّة رسول الله ﷺ، قد جاء يعلّمكم ما يلزم في دين الإسلام. فرحّبوا بهما، وأنزلوهما، وقالوا: تذكر[١] لنا شريعة الإسلام؛ فعرّفهم عقائد الإسلام وفرائضه، فقالوا: أمّا ما ذكرتَ من الصلاة، والزّكاة، فهو قريب، وأمّا قولك مَنْ قَتَلَ يُقتل، ومَن سرق يُقطع، ومَنْ زنى[٢] يُجلَد، أو يُرجم، فأمر لا نلتزمه، اذهب إلى غيرنا.

فرحلا عنهم، فنظر إليهما شيخٌ كبير فقال: لا بدّ وأن يكون لهذا الجمل في هذه الصحراء شأن يُذكر في العالم. فانتهى الجوهر والفقيه إلى جدالة، قبيل الجوهر، فدعاهم عبدالله بن ياسين والقبائل الذين يجاورونهم إلى حكم الشريعة، فمنهم من أطاع، ومنهم من أعرض وعصى.

ثم إنّ المخالفين لهم تحيّزوا، وتجمّعوا، فقال ابن ياسين للذين أطاعوا: قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحقّ، وأنكروا شرائع الإسلام، واستعدّوا لقتالكم، فأقيموا لكم رايةً، وقدّموا عليكم أميراً. فقال له الجوهر: أنت الأمير! فقال: لا، إنّما أنا حامل أمانة الشريعة، ولكن أنت الأمير. فقال الجوهر: لو فعلتُ هذا تسلّط قبيلي على الناس، ويكون وِزْرُ ذلك عليّ. فقال له ابن ياسين: الرأي أن نولّي ذلك أبا بكر بن عمر، رأس لمتونة وكبيرها، وهو رجل سيّد، مشكور الطريقة[٣]، مُطاع في قومه، فهو يستجيب لنا لحبّ الرئاسة، وتتبعه قبيلته، فنتقوّى[٤] بهم.

فأتيا أبا بكر بن عمر، وعرضا ذلك عليه، فأجاب، فعقدوا له البيعة، وسمّاه ابن ياسين أمير المسلمين، وعادوا إلى جدالة، وجمعوا إليهم من حَسُن إسلامه، وحرّضهم عبدالله بن ياسين على الجهاد في سبيل الله، وسمّاهم مرابطين، وتجمّع[٥] عليهم مَن خالفهم، فلم يقاتلهم المرابطون بل استعان ابن ياسين وأبو بكر بن عمر على أولئك

---

(١) في (أ): «يذكر».

(٢) في الأوربية: «زنا».

(٣) في (أ): «الحال.

(٤) في الأوربية: «فتتقوى».

(٥) في الأوربية: «ويجمع».

الأشرار بالمصلحين من قبائلهم، فاستمالوهم[1] وقرّبوهم حتّى حصّلوا منهم نحو ألفَيْ رجل من أهل البغي والفساد، فتركوهم في مكان، وخندقوا عليهم، وحفظوهم، ثم أخرجوهم قوماً بعد قوم، فقتلوهم، فحينئذٍ دانت لهم أكثر قبائل الصحراء[2]، وهابوهم، فقويت شوكة المرابطين.

هذا وعبدالله بن ياسين مشتغل بالعلم، وقد صار عنده منهم جماعة يتفقّهون، ولمّا استبدّ بالأمر هو وأبو بكر بن عمر عن الجوهر الجداليّ، وبقي لا حُكم له تَدَاخَلَه الحسد، وشرع سرّاً في فساد الأمر، فعُلم بذلك منه وعُقِد له مجلس، وثبّت عليه ما نُقل عنه، فحكم عليه بالقتل لأنّه نكث البيعة، وشقّ العصا، وأراد محاربة أهل الحقّ، فقُتل بعد أن صلّى ركعتَيْن، وأظهر السرور بالقتل طلباً للقاء الله تعالى. فاجتمعت القبائل على طاعتهم، ومن خالفهم قتلوه.

فلمّا كان سنة خمسين[3] وأربعمائة قحطت بلادهم؛ (فأمر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج إلى السوس وأخذ الزّكاة، فخرج منهم نحو تسعمائة رجل، فقدموا سِجِلْمَاسة، وطلبوا الزكاة)[4]، فجمعوا لهم شيئاً له قدرٌ وعادوا.

ثم إنّ الصحراء ضاقت عليهم، وأرادوا إظهار كلمة الحقّ، والعبور إلى الأندلس ليجاهدوا الكفّار، فخرجوا إلى السُّوس الأقصى، فجمع لهم أهل السُّوس وقاتلوهم، فانهزم المرابطون، وقُتل عبدالله بن ياسين الفقيه، فعاد أبو بكر بن عمر فجمع جيشاً وخرج إلى السوس في ألفَيْ راكب، فاجتمع من بلاد السوس وزناتة اثنا عشر ألف فارس، فأرسل إليهم وقال: افتحوا لنا الطريق لنجوز إلى الأندلس ونجاهد أعداء الإسلام؛ فأبوا ذلك، فصلّى أبو بكر، ودعا الله تعالى، وقال: اللهمّ إن كنّا على الحقّ فانصرنا، وإلاّ فأرِحْنَا من هذه الدنيا. ثم قاتلهم وصدق هو وأصحابه القتال، فنصرهم الله تعالى، وهزم أهل السوس ومن معهم وأكثر القتل فيهم، وغنم المرابطون أموالهم وأسلابهم، وقويت نفسه ونفوس أصحابه، وساروا إلى سِجِلماسة فنزلوا عليها، وطلبوا من أهلها الزكاة، فامتنعوا عليهم، وسار إليهم صاحب سِجلماسة فقاتلهم فهزموه

---

(١) في الأوربية: «فاستمالهم».
(٢) في الأوربية: «الحصراء».
(٣) في هامش الباريسية: «أربعين»، وفي (أ): «خمس».
(٤) ما بين القوسين من (أ).

وقتلوه[1]، ودخلوا سِجِلماسة واستولوا عليها، وكان ذلك سنة ثلاثٍ وخمسين وأربعمائة.

ذكر ولاية يوسف بن تاشفين

لمّا ملك أبو بكر بن عمر سِجِلماسة استعمل عليها يوسفَ بن تاشفين اللمتونيَّ، وهو من بني عمّه الأقربين، ورجع إلى الصحراء، فأحسن يوسف السيرة في الرعيّة، ولم يأخذ منهم سوى الزكاة، فأقام بالصحراء مدّةً، ثم عاد أبو بكر بن عمر إلى سِجلماسة، فأقام بها سنةً، والخطبة والأمر والنهي له، واستخلف عليها ابن أخيه أبا بكر بن إبراهيم بن عمر، وجهّز مع يوسف بن تاشفين جيشاً من المرابطين إلى السوس ففُتِحَ على يدَيْه.

وكان يوسف رجلاً ديّناً، خيّراً، حازماً، داهيةً، مجرّباً[2]، وبقوا كذلك إلى سنة اثنتين وستّين وأربعمائة، وتوفّي أبو بكر بن عمر بالصحراء، فاجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بن تاشفين، وملّكوه عليهم، ولقّبوه أمير المسلمين، وكانت الدولة في بلاد المغرب لزناتة الذين ثاروا في أيّام الفتن، وهي دولة رديّة مذمومة، سيئة السيرة، لا سياسة ولا ديانة، (وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السُّنّة، واتّباع الشريعة)[3]، فاستغاث به أهل المغرب، فسار إليها وافتتحها حصناً حصناً، وبلداً بلداً بأيسر سعي، فأحبه الرعايا، وصلحت أحوالهم.

ثم إنّه قصد موضع مدينة مَرّاكُش، وهو قاع صفصف، لا عمارة فيه، وهو موضع متوسّط في بلاد المغرب كالقَيروان في إفريقية، ومَرّاكُش تحتَ جبال المَصَامدة الذين هم أشدّ أهل المغرب قوّةً، وأمنعهم معقلاً، فاختطّ هناك مدينة مَرّاكُش ليقوى على قمع أهل تلك الجبال إن همّوا بفتنة، واتّخذها مقرّاً، فلم يتحرّك أحد بفتنةٍ، وملك البلاد المتّصلة بالمجاز مثل سَبْتة، وطَنجة، وسَلا، وغيرها، وكثرت عساكره.

وخرجت جماعة قبيلة لمتونة وغيرهم، وضيّقوا حينئذٍ لثامهم، وكانوا قبل أن

---

(١) من الباريسية، وفي الأوربية: «وقتلوا».

(٢) في الباريسية: «مجزماً».

(٣) من (أ).

يملكوا يتلثّمون في الصحراء من الحرّ والبرد، كما يفعل العرب، والغالب على ألوانهم السُّمرة، فلمّا ملكوا البلاد ضيّقوا اللّثامَ.

وقيل كان سبب اللّثام لهم أنّ طائفة من لمتونة خرجوا مُغيرين[1] على عدوّ لهم، فخالفهم العدوّ إلى بيوتهم، ولم يكن بها إلاّ المشايخ، والصبيان، والنساء، فلمّا تحقّق المشايخ أنّه العدوّ أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال، ويتلثّمن، ويضيّقنه، حتّى لا يُعرفن، ويلبسن السلاح. ففعلن ذلك، وتقدّم المشايخ والصبيان أمامهنّ، واستدار النساء بالبيوت، فلمّا أشرف العدوّ رأى جمعاً عظيماً، فظنّه[2] رجالاً، فقال[3]: هؤلاء عند حُرَمهم يقاتلون عنهنّ قتال الموت، والرأي أن نسوق النَّعَم ونمضي، فإن اتّبعونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم.

فبينما هم في جَمْع النَّعم من المراعي إذ قد أقبل رجال الحيّ، فبقي العدوّ بينهم وبينم النساء، فقتلوا من العدوّ فأكثروا، وكان مَن قتل النساء أكثر، فمن ذلك الوقت جعلوا اللّثام سُنّة يلازمونه، فلا يُعرف الشيخ من الشاب[4]، فلا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً، وممّا قيل في اللّثام:

قومٌ لهم دَرَكُ العُلى في حِمْيَرٍ، وإن انتمَوا صِنهاجةً فهمُ هُمُ
لمّا حَوَوا إحرازَ كلّ فضيلةٍ، غلَبَ الحياءُ عليهمُ فتلثّموا

ونذكر باقي أخبار أمير المسلمين في مواضعها إن شاء الله تعالى.

ذكر تبييض أبي الغنائم بن المحلبان

في هذه السنة بيّض علاء الدين أبو الغنائم بن المحلبان بواسط، وخطب فيها للعلويّين المصريّين.

وكان سبب ذلك أنّ رئيس الرؤساء سعى له في النظر على واسط وأعمالها،

---

(١) في الأوربية: «غائرين».
(٢) في (أ): «فظنوهم».
(٣) في (أ): «فقالوا».
(٤) في الأوربية: «الشباب».

فأُجيب إلى ذلك، فانحدر إليها، (فصار عنده)[1] جماعة من أعيانها، وجنّد جماعة عظيمة، وتقوّى بالبطائحيّين، وحفر على الجانب الغربيّ من واسط خندقاً، وبنى عليه سوراً، وأخذ ضريبةً من سُفُنٍ أُصعدتْ للخليفة، فسيّر لحربه عميد العراق أبو نصر، فاقتتلوا، فانهزم ابن المحلبان، وأُسر من أصحابه عدد كثير، ووصل أبو نصر إلى السور، فقاتله العامّة مِنْ على السور.

ثم تسلّم البلد، وأمر أهله بطمّ الخندق، وتخريب السور، ثم أصعد إلى بغداذ، فلمّا فارقها (عاد إليها)[2] ابن فسانجس، ونهب قرية عبدالله، وقتل كلَّ أعمى رآه بواسط، وأعاد خطبة المصريّين، وأمر أهل كلّ محلّة بعمارة ما يليهم من السور.

ومضى منصور بن الحسين إلى المدار، وأرسل إلى بغداذ يطلب المدد، فكتب إليه عميد العراق ورئيس الرؤساء يأمرانه أن يقصد واسطاً هو وابن الهيثم، وأن يحاصراها[3]، فأقبلا إليها فيمن معهما وحصروها في الماء والبرّ، وكان هذا الحصار سنة تسعٍ وأربعين [وأربعمائة]، فاشتدّ فيها الغلاء حتّى بيع التمر، والخبز، وكروش البقر، كلّ خمسة أرطال بدينار، وإذا وُجد الخبازى باعوه كلّ عشرين رطلاً بدينار.

ثمّ ضعفوا وضجروا من الحصار، فخرج ابن فسانجس ليقاتل، فلم يثبت، وقُتل جماعة من أصحابه، وانهزموا إلى سور البلد، واستأمن جماعة من الواسطيّين إلى منصور بن الحسين، وفارق ابن فسانجس واسطاً، ومضى إلى قصر ابن أخضر[4]، وسار إليه طائفة من العسكر ليقاتلوه، فأدركوه بقرب النيل، فأُسر هو وأهله، وحُمل إلى بغداذ، فدخلها في صفر سنة تسعٍ وأربعين [وأربعمائة] وشُهّر على جمل، وعليه قميص أحمر، وعلى رأسه طُرطُور بِوَدَعٍ، وصُلب[5].

ذكر الوقعة بين البساسيريّ وقُرَيش

في هذه السنة، سلْخ شوّال، كانت وقعة بين البساسيريّ ومعه نور الدولة

---

(١) في (أ): «فصادر».
(٢) في (أ): «قصدها».
(٣) في الأوربية: «يحاصرانها».
(٤) في الباريسية: «خضر».
(٥) دول الإسلام ١/٢٦٣، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٤، ٢٥، مرآة الجنان ٣/٦٦.

دُبيس بن مَزيد، وبين قُريش بن بدران، صاحب الموصل، ومعه قُتُلْمُش، وهو ابن عمّ السلطان طُغْرلبك، وهو جدّ هؤلاء الملوك أولاد قِلج أرسلان، ومعه أيضاً سهم الدولة أبو الفتح بن عمرو[1]، وكانت الحرب عند سِنجار، فاقتتلوا، فاشتدّ القتال بينهم، فانهزم قريش وقُتُلْمُش، وقُتل من أصحابهما[2] الكثير.

ولقي قُتُلْمُش من أهل سِنجار العَنَت، وبالغوا في أذاه وأذى أصحابه، وجُرح قريش بن بدران، وأتى إلى نور الدولة جريحاً، فأعطاه خلعةً كانت قد نُفّذت من مصر، فلبسها وصار في جملتهم، وساروا إلى الموصل، وخطبوا لخليفة مصر بها، وهو المستنصر بالله، وكانوا قد كاتبوا الخليفة المصريَّ بطاعتهم، فأرسل إليهم الخِلع من مصر للبساسيريّ، ولنور الدولة دُبيس بن مَزْيَد، ولجابر بن ناشب، ولمقبل بن بدران أخي قريش، ولأبي الفتح بن ورّام، ونصير بن عمر، وأبي الحسن بن عبد الرحيم، ومحمّد بن حمّاد، وانضاف إليهم قريش بن بدران[3].

ذكر مسير السلطان طُغْرُلبك إلى الموصل

لمّا طال مُقام السلطان طُغْرُلبك ببغداذ، وعمّ الخلقَ ضَرَرُ عسكرِه، وضاقت عليهم مساكنهم، فإنّ العساكر نزلوا فيها، وغلبوهم على أقواتهم، وارتكبوا منهم كلّ محظور، أمر الخليفة القائم بأمر الله وزيره رئيس الرؤساء أن يكتب إلى عميد الملك الكندريّ، وزير السلطان طُغْرلبك، يستحضره، فإذا حضر قال له عن الخليفة ليُعرّف السلطان ما الناس فيه من الجور والظلم، ويعِظه، ويذكّره، فإنّ أزال ذلك، وفعل ما أمر الله به، وإلاّ فيساعد الخليف على الانتزاح عن بغداذ ليبعد عن المنكرات.

فكتب رئيس الرؤساء إلى الكندريّ يستدعيه، فحضر، فأبلغه ما أمر به الخليفة، وخرج توقيع من الخليفة إلى السلطان فيه مواعظ، فمضى إلى السلطان وعرّفه الحال، فاعتذر بكثرة العساكر، وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم، وأمر عميد الملك أن يبكّر بالجواب إلى رئيس الرؤساء، ويعتذر بما ذكره.

---

(١) في (أ): «عمر».

(٢) في الباريسية: «أصحابه».

(٣) العبر ٣/ ٢١٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٥، اتعاظ الحنفا ٢/ ٢٣٤.

فلمّا كان تلك الليلة رأى السلطان في منامه النبيَّ، ﷺ، عند الكعبة وكأنّه يسلّم على النبيِّ وهو مُعرض عنه لم يلتفتْ إليه، وقال له: يحكّمك الله في بلاده وعباده، فلا تراقبه فيهم، ولا تستحي من جلاله، عزّ وجلّ، في سوء معاملتهم، وتغترّ بإهماله عند الجور عليهم!

فاستيقظ فزعاً، وأحضر عميد الملك، وحدّثه ما رأى، وأرسله إلى الخليفة يعرّفه أنّه يقابل ما رسم به بالسمع والطاعة، وأخرج الجُنْد من دُور العامّة، وأمر أن يظهر من كان مختفياً، وأزال التوكيل عمّن كان وكّل به.

فبينما هو على ذلك، وقد عزم على الرحيل عن بغداذ للتخفيف عن أهلها، وهو يتردّد فيه، إذ أتاه[1] الخبر بهذه الوقعة المتقدّمة، فتجهّز وسار عن بغداذ عاشر ذي القعدة، ومعه خزائن السلاح، والمنجنيقات، وكان مقامه ببغداذ ثلاثة عشر شهراً وأيّاماً لم يلق الخليفة فيها، فلمّا بلغوا أوانا نهبها العسكر، ونهبوا عُكبرا وغيرهما.

ووصل إلى تكريت فحصرها، وبها صاحبها نصر بن (عليّ بن خميس)[2] فنصب على القلعة عَلَماً أسود، وبذل مالاً، فقبِله السلطان، ورحل عنه إلى البَوازيج ينتظر جمْعَ العساكر ليسير إلى الموصل، فَلمّا رحل عن تكريت توفّي صاحبها، وكانت أمّه أميرة[3] بنت غريب بن مَقن، فخافت أن يملك البلدة أخوه أبو الغِشّام، فقتلته وسارت إلى الموصل، فنزلت على دُبَيْس بن مَزْيد، فتزوّجها قُريش بن بدران، ولمّا رحلت عن تكريت استخلفت بها أبا الغنائم ابن المحلبان، فراسل رئيس الرؤساء واستعطفه، فصلح ما بينهما، وسلّم تكريت إلى السلطان ورحل إلى بغداذ[4].

وأقام السلطان بالبوازيج إلى أن دخلت سنة تسع وأربعين [وأربعمائة] فأتاه أخوه ياقوتي في العساكر، فسار بهم إلى الموصل، وأقطع مدينة بلَد لهزارسب بن بنكير، فأجفل أهل البلاد إلى بلَد، (فأراد العسكر نهبهم، فمنعهم السلطان وقال: لا يجوز أن

---

(١) في الأوربية: «فأتاه».
(٢) في (أ): «عيسى».
(٣) في (أ): «غريبة».
(٤) المنتظم ٨/ ١٦٩ (١٦/ ٤).

تعرضوا إلى بلَد)[1] هزارسب؛ فلجّوا وقالوا: نريد الإقامة؛ (فقال السلطان لهزارسب: إنّ هؤلاء قد احتجّوا بالإقامة)[2]، فأخرج أهل البلد إلى معسكرك لتحفظ[3] نفوسهم. ففعل ذلك، وأخرجهم إليه، فصار البلد بعد ساعة قفراً، وفرّق فيهم هزارسب مالاً، وأركب من يعجز عن المشْي، وسيّرهم إلى الموصل ليأمنوا.

وتوجّه السلطان إلى نَصِيبين، فقال له هزارسب: قد تمادت الأيّام وأرى[4] أن أختار من العسكر ألف فارس أسير بهم إلى البرّيّة، فلعلّي أنال من العرب غَرَضاً؛ فأذِن له في ذلك؛ فسار إليهم، فلمّا قاربهم كمّن لهم كمينَيْن وتقدّم إلى الحِلَل، فلمّا رأوه قاتلوه، فصبر لهم ساعةً، ثم انزاح بين أيديهم كالمنهزم، فتبِعوه، فخرج عليهم[5] الكمينان، فانهزمت العرب، وكثر فيهم القتل والأسر، وكان قد انضاف إليهم جماعة من بني نُمَيْرأصحاب حَرّان، والرَّقّة، وتلك الأعمال، وحمل الأسرى إلى السلطان، فلمّا أُحضروا بين يدَيْه قال لهم: هل وطئتُ لكم أرضاً، وأخذتُ لكم بلداً؟ قالوا: لا! قال: فَلِمَ أتيتم لحربي؟ وأحضر الفيل فقتلهم، إلاّ صبيّاً أمرد، فلمّا امتنع الفيل من قتله عفا عنه السلطان.

ذكر عود نور الدولة دُبَيْس بن مزيد وقُريش ابن بدران إلى طاعة طغرلبك

لمّا ظفر هزارسب بالعرب وعاد إلى السلطان طُغْرلبك، أرسل إليه نور الدولة وقُريش يسألانه أن يتوسّط حالهما عند السلطان، ويُصلح أمرهما معه، فسعى في ذلك، واستعطف السلطان عليهما، فقال: أمّا هما فقد عفوتُ عنهما، وأمّا البساسيريُّ فذنبه إلى الخليفة، ونحن متبعون أمر الخليفة فيه؛ فرحل البساسيري عند ذلك إلى الرحبة، وتبعه الأتراك البغداذيّون، ومُقْبِل بن المقلّد وجماعة من عُقَيْل.

وطلب دُبَيْس وقُريش أن يرسل طُغْرلبك إليهما أبا الفتح بن ورّام، فأرسله، فعاد

---

(١) من (أ).

(٢) من (أ).

(٣) في الأوربية: «لتنحفظ».

(٤) في الأوربية: «ورأى».

(٥) في الأوربية: «عليه».

من عندهما وأخبر بطاعتهما، وأنّهما يطلبان[1] أن يمضي هزارسب إليهما ليحلّفهما، فأمره السلطان بالمُضِيّ إليهما، فسار واجتمع بهما، وأشار عليهما بالحضور عند السلطان، فخافا وامتنعا، فأنفذ قريش أبا السداد[2] هبة الله بن جعفر، وأنفذ دُبيس ابنَهُ بهاء الدولة منصوراً، فأنزلهما السلطان وأكرمهما وكتب لهما بأعمالهما، وكان لقريش نهر الملك، وبادوريا، والأنبار، وهَيت، ودُجيل، ونهر بَيطر، وعُكبرا، وأوَانَا، وتكريت، والموصِل، ونَصِيبين، وأعاد الرُسُل إلى أصحابهم.

ذكر قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسِنجار

لمّا فرغ طُغْرُلبك من العرب سار إلى ديار بكر التي هي لابن مروان، وكان ابن مروان يرسل إليه كلَّ يوم الهدايا والثلج، فسار السلطان إلى جزيرة ابن عمر فحصرها، وهي لابن مروان، فأرسل إليه ابن مروان يبذل له مالاً يُصلح حاله به، ويذكر له ما هو بصدده من حفظ ثغور المسلمين، وما يعانيه من جهاد[3] الكفّار، ولمّا كان السلطان يحاصر الجزيرة سار جماعة من الجيش إلى عُمْر أكمُن[4]، وفيه أربعمائة راهب، فذبحوا منهم مائة وعشرين راهباً، وافتدى الباقون أنفسهم بستّة مكاكيك ذهباً وفضّة.

ووصل إبراهيم يَنّال أخو السلطان إليه، فلقِيه الأمراء والناس كلّهم، وحملوا إليه الهدايا، وقال لعميد الملك الوزير: مَنْ هؤلاء العرب حتّى تجعلهم نظراء السلطان، وتصلح بينهم؟ فقال: مع حضورك يكون ما تريد، فأنت نائب[5] السلطان.

ولمّا وصل إبراهيم ينّال أرسل هزارسب إلى نور الدولة بن مَزْيد وقُريش يعرّفهما وصوله، ويحذّرهما منه، فسارا من جبل سِنجار إلى الرَّحبة، فلم يلتفت البساسيريُّ إليهما، فانحدر نور الدولة إلى (بلده بالعراق)[6]، وأقام قريش عند البساسيريّ بالرَّحبة ومعه ابنه مسلم بن قريش.

---

(١) في الأوربية: «يطلعان».

(٢) في (أ): «السيد».

(٣) في (أ): «مجاهدة».

(٤) في نسخة بودليان والباريسية: «عمر أوكين»، و(أ): «عم أكمز».

(٥) من (أ).

(٦) في (أ): «العراق».

وشكا قُتُلْمش ابن عمّ السلطان إليه[1] ما لقي من أهل سنجار في العام الماضي لمّا انهزم، وأنّهم قتلوا رجالاً، فسيّر العساكر إليهم، فأحاطت بهم، وصعِد أهلها على السور وسبوا، وأخرجوا جماجم مَن كانوا قتلوا، وقلانسهم، وتركوها على رؤوس القصب، ففتحها السلطان عَنوةً، وقتل أميرها مجلى[2] بن مُرَجّا وخلْقاً كثيراً من رجالها، وسبى[3] نساءهم، وخُرّبت، وسأل إبراهيم ينّال في الباقين فتركهم، فسلّمها هي والموصل والبلاد إلى إبراهيم ينّال، ونادى في عسكره: من تعرّض لنهبِ صلبتُه؛ فكفّوا عنهم.

وعاد السلطان إلى بغداذ[4]، على ما نذكره؛ كان ينبغي أن نذكر هذه الحادثة سنة تسِع وأربعين [وأربعمائة]، وإنّما ذكرناها هذه السنة لأنّ الابتداء بها كان فيها، فَأَتْبَعْنا بعضَها بعضاً، وذكرنا أنّها كانت سنة تسعٍ وأربعين.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة انقطعت الطرق عن العراق لخوف النهب، فغلت الأسعار، وكثر الغلاء، وتعذّرت الأقوات وغيرها من كلّ شيء، وأكل الناس الميتة، ولحِقهم وباءٌ عظيم، فكثُر الموت حتّى دُفن الموتى بغير غُسل ولا تكفين، فبيع رطل لحم بقيراط، (وأربع دجاجات بدينار، ورطلا شراب بدينار، وسفرجلة بدينار)[5]، ورُمّانة بدينار، وكلّ شيء كذلك[6].

وكان بمصر أيضاً وباء شديد[7]، فكان يموت في اليوم ألف نفس، ثم عمّ ذلك

---

(1) في (أ): «إلى السلطان».
(2) في (أ): «على».
(3) في الأوربية: «وسبا».
(4) تاريخ الزمان ١٠٠، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٦، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٦، ٣٥٧، البداية والنهاية ١٢/ ٦٩.
(5) من (أ).
(6) المنتظم ٨/ ١٧٠ (١٦/ ٥).
(7) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٣ (سويم) ١١ (حوادث ٤٤٧ هـ.)، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٧ (حوادث ٤٤٧ هـ.)، ذيل تاريخ دمشق ٨٦، المغرب في حُلى المغرب ٧٩، الدرّة المضية ٣٦٩، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٥، العبر ٣/ ٢١٥.

سائر البلاد من الشام، والجزيرة، والموصل، والحجاز، واليمن وغيرها[١].

وفيها، في جُمادى الأولى، ولدت جارية ذخيرة الدّين بن الخليفة، الذي ذكرنا وفاتهُ قبلُ، ولداً ذَكَراً، ويسمّى عبدالله، وكُني أبا القاسم، وهو المقتدي.

وفيها، في العشر الثاني من جمادى الآخرة، ظهر وقت السَّحَر في السماء ذُؤآبة بيضاء طولها نحو عشرة أذرُع في رأيِ العين، وعرضُها ذراع، وبقيت كذلك إلى نصف رجب واضمحلّتْ[٢].

وفيها أمر الخليفة بأن يُؤذَّن بالكرْخ والمشهد وغيرهما: «الصَّلاةُ خيرٌ من النوم»؛ وأن يتركوا: «حيّ على خير العمل»؛ ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوّتها[٣].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي عليُّ بن أحمد بن عليّ أبو الحسن المؤدّب المعروف بالفاليّ[٤]، من أهل مدينة فَالة بالقرب من إيذَج؛ روى الحديث والأدب، وله شعر حسن، فمنه قوله:

تَصَدَّرَ للتدريسِ كلُّ مُهوّسِ ... بَليدٍ تَسمّى بالفَقيهِ المُدَرِّسِ
فحَقٌّ لأهلِ العلمِ أن يتمثّلوا ... ببَيتٍ[٥] قديمٍ شاعَ في كلّ مَجلِسِ
لقد هَزلَتْ، حَتّى بدَا من هُزالِها ... كُلاها، وحتى سامَها[٦] كلُّ مُفلسِ[٧]

وفي هذه السنة تُوُفّي محمّد بن الحسين بن محمّد بن السريّ أبو الحسن[٨] البزّاز

---

(١) الدرّة المضية ٣٦٩.

(٢) المنتظم ٨/ ١٧١ (١٦/ ٦).

(٣) المنتظم ٨/ ١٧٢ (١٦/ ٧).

(٤) في الأوربية: «الغاليّ». والمثبت هو الصحيح كما في مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٨٣ رقم ٢٧٥.

(٥) في الأوربية: «يتشملوا بيت».

(٦) في تاريخ الإسلام: «استامها».

(٧) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣٤، المنتظم ٨/ ١٧٤ (١٦/ ١٠)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٨٣.

(٨) في طبعة صادر ٩/ ٦٣٢ «محمد بن الحسين بن محمد بن سعدون أبو طاهر»، والمثبت عن مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٨٧، ١٨٨ رقم ٢٨٣.

الموصليُّ، وُلد بالموصل[1]، ونشأ ببغداذ، وروى عن ابن حَيُّوَيْه[2]، والدّارَقُطْني، وابن بطّة وغيرهم، وكان موته بمصر.

وفيها توفّي أميرك الكاتب[3] البيهقيُّ في شوّال، وكان من رجال الدّنيا.

ومحمّد بن عبدالواحد بن عمر بن الميمون الدارميُّ[4] الفقيه الشافعيُّ.

---

(١) ليس في مصادر ترجمته ما يدلّ على أنه موصليّ، وهي تنسبه إلى نيسابور ومصر، فقيل: النيسابوري، المصري.

(٢) في طبعة صادر ٩/ ٦٣٢ «ابن خَبابة». والتصويب من المصادر، وهو: «محمد بن عبدالله بن حيُّويه النيسابوري».

(٣) له ذِكر في: زبدة التواريخ ٧٢.

(٤) انظر عن (الدارمي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠هـ.). ص ١٩٢ ـ١٩٤ رقم ٢٩٥ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٤٩
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة

ذكر عَود السلطان طغرلبك إلى بغداذ

لمّا سلّم السلطان طُغْرلبك الموصل وأعمالها إلى أخيه إبراهيم ينّال عاد إلى بغداذ، فلمّا وصل إلى القُفْص خرج رئيس الرؤساء إلى لقائه، فلمّا قارب القُفْص لقِيه عميد الملك، وزير السلطان، في جماعة من الأمراء، وجاء رئيس الرؤساء إلى السلطان فأبلغه سلام الخليفة واستيحاشه، فقبّل الأرض، وقدّم رئيس الرؤساء جاماً من ذهب فيه جواهر، وألبسة فرجيّة جاءت معه من عند الخليفة، ووضع العمامة على مخدّته، فخدم السلطان، وقبّل الأرض، (ووصل إلى بغداذ)[1]، ولم يمكّن أحداً من النزول في دُور الناس، وطلب السلطان الاجتماع بالخليفة، فأذِن له في ذلك.

وجلس الخليفة يوم السبت لخمسٍ بقين من ذي القعدة جلوساً عامّاً، وحضر وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداذ، وحضر السلطان في الماء، وأصحابه حوله في السُّميريّات، فلمّا خرج من السُّميريّة أُركِب فرساً من مراكب الخليفة، فحضر عند الخليفة، والخليفة على سرير عالٍ من الأرض نحو سبعة أذرُع، وعليه بُردة النبيّ، ﷺ، وبيده القضيب الخيزُران، فقبّل السلطان الأرض، وقبّل يده، وأُجلس على كرسيّ، فقال الخليفة لرئيس الرؤساء:

قل له إنّ أمير المؤمنين شاكرٌ لسعيك، حامدٌ لفِعلك، مستأنسٌ بقربك، وقد ولاّك جميع ما ولاّه الله من بلاده، وردّ عليك[2] مراعاة عباده، فاتّق الله فيما ولاّك، واعرفْ نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل، وكفّ الظُّلم، وإصلاح الرعيّة.

---

(١) من (أ).

(٢) في (أ): «إليك».

فقبّل الأرض، وأمر الخليفة بإفاضة الخِلع عليه، فقام إلى موضع لبسها فيه وعاد وقبّل يد الخليفة ووضعها على عينَيْه، وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب، وأُعطي العهد، وخرج، وأرسل إلى الخليفة خدمةً كثيرة منها خمسون[1] ألف دينار، وخمسون مملوكاً أتراكاً من أجْوَد ما يكون، ومعهم خيولهم وسلاحهم، إلى غير ذلك من الثياب وغيرها[2].

ذكر الحرب بين هزارسب وفولاذ

كان السلطان قد ضمن هزارسب بن بنكير بن عياض البصرة، وأرَّجان، وخُوزِستان، وشِيراز، فتجرّد رسولتكين ابن عمّ السلطان ومعه فولاذ لهزارسب، وقصدا أرَّجان ونهباها.

وكان هزارسب مع طُغْرلبك بالموصل والجزيرة، فلمّا فرغ السلطان من تلك الناحية ردّ هزارسب إلى بلاده، وأمره بقتال رسولتكين وفولاذ، فسار إلى البصرة وصادر بها تاج الدين بن سَخطة العلويَّ وابن سمحا اليهوديَّ بمائة ألف وعشرين ألف دينار، وسار منها إلى قتال فولاذ ورسولتكين فلقيهما، وقاتلهما قتالاً شديداً، فقُتل فولاذ، وأُسر رسولتكين ابن عمّ السلطان، فأبقى عليه هزارسب، فسأل رسولتكين هزارسبَ ليرسله إلى دار الخلافة ليشفع فيه الخليفة، ففعل ذلك.

ووصل بغداذ مع أصحاب هزارسب، فاجتاز بدار رئيس الرؤساء، فهجم ودخلها، واستدعى طعاماً إيجازاً للحرمة، فأمر الخليفة بإحضار عميد الملك (وإعلامه بحال رسولتكين ليخاطب السلطان في أمره، فلمّا حضر عميد الملك)[3] وقيل له ذلك قال: إنّ السلطان يقول إنّ هذا لا حُرمة له يستحقّ بها المراعاة، وقد قابل إحساني بالعصيان، ويجب تسليمه ليتحقّق الناس منزلتي، وتتضاعف هيبتي؛ فاستقرّ الأمر، بعد مراجعة، على أن يقيّده، وخرج توقيع الخليفة: إنّ منزلة ركن الدّين، يعني طُغْرلبك،

---

(١) في الأوربية: «خمسين».

(٢) الإنباء في تاريخ الخلفاء ١٩٢، المنتظم ٨/ ١٨٣ (١٦/ ٢١)، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٦، العبر ٣/ ٢١٨، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٧، مآثر الإنافة ١/ ٣٣٩.

(٣) من (أ).

عندنا اقتضت ما لم نفعله مع غيره، لأنّه لم تجر العادة بتقييد أحدٍ في الدار العزيزة، ولا بدّ أن يكون الرضا في جواب ما فعل؛ فراسله رئيس الرؤساء حتّى رضي.

وقد كانت دار الخلافة أيّام بني بُوَيه ملجأ لكلّ خائف منهم، من وزير وعميد وغير ذلك، ففي الأيّام السلجوقيّة سُلك[1] غير ذلك، وكان أوّل شيء فعلوه هذا.

ذكر القبض على الوزير اليازوريّ بمصر

في هذه السنة، في ذي الحجّة، قُبض بمصر على الوزير أبي محمّد الحسن بن عبد الرحمن اليازوريّ، وقُرّر عليه أموال عظيمة منه ومن أصحابه، ووُجد له مكاتبات إلى بغداذ.

وكان في ابتداء أمره قد حجّ، فلمّا قضى[2] حجّه أتى المدينة، وزار مسجد رسول الله، ﷺ، فسقط على منكبَيْه قطعة من الخلوق الذي على حائط الحُجرة، فقال له أحد القوام: أيّها الشيخ! إني أُبشّرك، ولي الحباء والكرامة إذ بلغتَه، أنّك تلي ولاية عظيمة، وهذا الخلوق دليل على ذلك.

فلم يَحُلْ عليه الحول حتّى وليَ الوزارة، وأحسن إلى ذلك الرجل وراعاه.

وكان يتفقّه على مذهب أبي حنيفة، وكان قاضياً بالرملة، يُكرم العلماء، ويحسن إليهم ويجالسهم، وكان ابتداء أمره كابتداء أمر رئيس الرؤساء: الشهادة، والقضاء، وكانت سعادتهما متّفقة، ونهايتهما متقاربة[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة زاد الغلاء ببغداذ والعراق حتّى بيعت كارة الدقيق السّميد بثلاثة

---

(١) في الباريسية: «فعل».

(٢) في الأوربية: «قضا».

(٣) انظر عن (اليازوري) في: أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٨، ٩، والمنتظم ٨/ ١٨٣ (١٦/ ٢١)، وأخبار الدول المنقطعة ٧٩، والإشارة إلى من نال الوزارة ٤٠ ـ ٤٥، والمقفى الكبير ٢/ ٦٤٤ و٣/ ٣٦٦ ـ ٤٠٨ رقم ١١٨٨، وذيل تاريخ دمشق ٨٤، واتعاظ الحنفا ٢/ ٢١٢، ٢٥٩، ٢٦٠، والأعلام ٢/ ٢١٨، والدرّة المضية ٣٧٠ (حوادث ٤٥٠ هـ.)، ونهاية الأرب ٢٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٣.

عشر ديناراً، والكارة من الشعير والذُّرَة بثمانية دنانير، وأكل الناس الميتة والكلاب وغيرها، وكثر الوباء حتّى عجز الناس عن دفن الموتى، فكانوا يجعلون الجماعة في الحفيرة[1].

[وفاة أبي العلاء المَعَرّي]

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المَعَرّيُّ[2]، الأديب، وله نحو ستّ وثمانين سنة، وعلمه أشهر من أن يُذكر، إلاّ أنّ أكثر الناس يرمونه[3] بالزّندقة، وفي شِعره ما يدلّ على ذلك، حُكي أنّه قال يوماً لأبي يوسف القزوينيّ: ما هجوتُ أحداً؛ فقال له القزوينيُّ: هجوتَ الأنبياء؛ فتغيّر وجهه وقال: ما أخاف أحداً سواك.

وحكى عنه القزوينيُّ أنّه قال: ما رأيتُ شِعراً في مرثيّة الحسين بن عليّ يساوي أن يُحفظ؛ فقال القزوينيُّ: بلى، قد قال بعض أهل سوادنا:

رأسُ ابنِ بِنتِ محمّدٍ ووصيّهِ ... للمُسلمينَ على قَناةٍ يُرفَعُ

والمسلمون بمَنْظرٍ وبمَسْمَعٍ، ... لا جازعٌ منهم، ولا متفجّعُ

أيقظتَ أجفاناً وكنتَ لها كرًى، ... وأنَمْتَ عَيناً لم تكن بك تَهجَعُ

كُحِلتْ بمَصرَعك[4] العيونُ عَمايةً، ... وأصمّ نعيُك كلَّ أُذنٍ تَسْمَعُ

ما روضةٌ إلاّ تمنّتْ أنّها ... لك مَضجَعٌ ولخَطّ قَبرِك مَوضِعُ

وفيها أصلح دُبَيس بن عليّ بن مَزْيَد ومحمود بن الأخرم الخفاجيُّ حالهما مع السلطان، فعاد دُبيس إلى بلاده فوجدها خراباً لكثرة من مات بها من الوباء الجارف، ليس بها أحد[5].

---

(١) المنتظم ٨/ ١٧٩، ١٨٠ (١٦/ ١٧، ١٨)، تاريخ الزمان ١٠٠، والدرّة المضية ٣٧٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨، البداية والنهاية ١٢/ ٧٠، شذرات الذهب ٣/ ٢٦٩.

(٢) انظر عن (أبي العلاء) في تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٩٨ ـ ٢٢٠ رقم ٣٠٥ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٣) في الباريسية: «يرميه».

(٤) في (أ): «بمنظرك».

(٥) المنتظم ٨/ ١٨١ (١٦/ ١٨).

وفيها كثر الوباء ببخارى حتّى قيل إنّه مات في يومٍ واحد ثمانية عشر ألف إنسان من أعمال بُخَارى، وهلك في هذه الولاية في مدّة الوباء ألف ألف وستّمائة ألف وخمسون[1] ألفاً، وكان بسَمَرْقَند مثل ذلك، وُوجد ميّت، وقد دخل تركيّ يأخذ لحافاً عليه، فمات التركيُّ وطرف اللّحاف بيده، وبقيت أموال الناس سائبةً[2].

وفيها نُهبت دار أبي جعفر الطُّوسيّ بالكَرْخ، وهو فقيه الإماميّة، وأُخِذ ما فيها، وكان قد فارقها إلى المشهد الغربيّ[3].

[الوفيات]

وفيها، في صفر، توفّي أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونيُّ[4] مقدّم أصحاب الحديث بخُراسان، وكان فقيهاً، خطيباً، إماماً، في عدّة علوم.

وفيها، في ربيع الأوّل، تُوُفّي إياز بن أيماق أبو النجم غلام محمود بن سُبُكتِكِين، وأخباره معه مشهورة.

وفيها مات أبو أحمد عدنان ابن الشَّريف الرَّضيّ نقيب العلويّين[5].

وفيها تُوفيّ أبو الحسين عبد الوهّاب بن أحمد بن هارون الغّسانيُّ[6]، المعروف بابن الجُنْديّ.

---

(١) في الأوربية «وخمسين».

(٢) المنتظم ٨/ ١٧٩، ١٨٠ (١٦/ ١٧، ١٨)، تاريخ الزمان ١٠٠، العبر ٣/ ٢١٨، دول الإسلام ١/ ٢٦٤، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨، تاريخ الخميس ٢/ ٤٠٠، إتعاظ الحنفا ٢/ ٢٣٥، شذرات الذهب ٣/ ٢٧٩.

(٣) من (أ). والخبر في: المنتظم ٨/ ١٧٩ (١٦/ ١٦).

(٤) انظر عن (الصابوني) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٢٤ ـ ٢٢٩ رقم ٣١٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) تاريخ الفارقي ١/ ١٧٤، المنتظم ٨/ ١٨٩ رقم ٢٥٤ (١٦/ ٢٨ رقم ٣٣٤٩)، الأعلام ٤/ ٢١٩.

(٦) انظر عن (الغسّاني) في: تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٢٥/ ١٤٤، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٥/ ٢٧٠ رقم ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٣٢ رقم ٣٢١.

٤٥٠

ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة

ذكر مفارقة إبراهيم ينّال الموصل واستيلاء البساسيريّ عليها وأخذها منه

في هذه السنة فارق إبراهيم ينّال الموصل نحو بلاد الجبل، فنسب السلطان طُغْرلبك رحيله إلى العصيان، فأرسل إليه رسولاً يستدعيه، وصحبته الفُرجيّة التي خلعها عليه الخليفة، وكتب الخليفة إليه أيضاً كتاباً في المعنى، فرجع إبراهيم إلى السلطان، وهو ببغداذ، فخرج الوزير الكندريُّ لاستقباله، وأرسل الخليفة إليه الخِلع.

ولمّا فارق إبراهيم الموصل قصدها البساسيريُّ، وقريش بن بدران، وحاصراها، فملكا البلد ليومه، وبقيت القلعة، وبها الخازن، وأردم، وجماعة من العسكر، فحاصراها أربعة أشهر حتّى أكل من فيها دوابّهم، فخاطب[1] ابن مُوسَك صاحب إربل قريشاً حتّى أمّنهم فخرجوا، فهدم البساسيريُّ القلعة، وعفّى[2] أثرها.

وكان السلطان قد فرّق عسكره في النّوروز، وبقي جريدةً في ألفَيْ فارس حين بلغه الخبر، فسار إلى الموصل فلم يجد بها أحداً؛ كان قريش والبساسيريُّ قد فارقاها، فسار السلطان إلى نَصِيبين ليتتبّع آثارهم ويخرجهم من البلاد، ففارقه أخوه إبراهيم ينّال، وسار نحو همَذان، فوصلها في السادس والعشرين من رمضان سنة خمسين [وأربعمائة]، وكان قد قيل إنّ المصريّين كاتبوه، والبساسيريّ قد استماله وأطمعه في السلطنة والبلاد، فلمّا عاد إلى هَمَذان سار السلطان[3] في أثره[4].

---

(١) في الباريسية: «فحاصر».

(٢) في الأوربية: «وعفّا».

(٣) في الباريسية: «الخليفة».

(٤) مختصر التاريخ لابن الكازروني ٢٠٦، ٢٠٧، تاريخ دولة آل سلجوق ١٧، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٣، النجوم الزاهرة ٨/٥.

ذكر الخطبة بالعراق للعلويّ المصريّ
وما كان إلى قتل البساسيريّ

لمّا عاد إبراهيم ينّال إلى هَمَذان (سار طُغْرلبك خلفه)[1]، وردّ وزيرَه عميد الملك الكندريَّ وزوجته إلى بغداذ[2].

وكان مسيره من نَصِيبين في منتصف شهر رمضان، ووصل إلى هَمَذان، وتحصّن بالبلد، وقاتل أهلُها بين يدَيْه، وأرسل إلى الخاتون زوجته وعميد الملك الكندريّ يأمرهما باللحاق به، فمنعهما الخليفة من ذلك تمسّكاً بهما، وفرّق غِلالاً كثيرة في الناس، وسار من كان ببغداذ من الأتراك إلى السلطان بهمذان، وسار عميد الملك إلى دُبَيْس بن مَزْيد فاحترمه وعظّمه، ثمّ سار من عنده إلى هزارسب، وسارت خاتون إلى السلطان بهمذان، فأرسل الخليفة إلى نور الدولة دبيس بن مزيد يأمره بالوصول إلى بغداذ، فورد إليها في مائة فارس، ونزل في النجميّ، ثم عبر إلى الأتانين.

وقوي الإرجاف بوصول البساسيريّ، فلمّا تحقّق الخليفة وصوله إلى هَيْت أمر الناس بالعبور من الجانب الغربيّ إلى الجانب الشرقيّ، فأرسل دُبَيْس بن مَزْيد إلى الخليفة وإلى رئيس الرؤساء يقول: الرأي عندي خروجكما من البلد معي، فإنّني أجتمع أنا وهزارسب فإنّه بواسط على دفع عدوّكما. فأُجيب ابن مَزْيد بأن يُقيم حتّى يقع الفكر في ذلك، فقال: العرب لا تطيعني على المقام، وأنا أتقدّم إلى دَيَالى! فإذا انحدرتم سِرتُ في خدمتكم. وسار وأقام بدَيَالى ينتظرهما، فلم يرَ لذلك أثراً، فسار إلى بلاده[3].

ثمّ إنّ البساسيريَّ وصل إلى بغداذ يوم الأحد ثامن ذي القعدة، ومعه أربعمائة غلام على غاية الضُّرّ والفقر، وكان معه أبو الحسن بن عبد الرحيم الوزير، فنزل البساسيريُّ بمشرعة الروايا، ونزل قُريش بن بدران، وهو في مائتَيْ فارس، عند مشرعة باب البصرة، وركب عميد العراق، ومعه العسكر والعوامّ، وأقاموا بإزاء عسكر

---

(١) في (أ): «تبعه السلطان».

(٢) في (أ): «حمدان».

(٣) في (أ): «بلده».

البساسيريّ، وعادوا، وخطب البساسيريُّ بجامع المنصور للمستنصر بالله العلويّ، صاحب مصر، وأمر فأُذّن بحَيّ على خير العمل، وعقد الجسر، وعبر عسكره إلى الزاهر وخيّموا فيه، وخطب في الجُمعة من وصوله (بجامع الرُّصافة)[1] للمصريّ، وجرى بين الطائفتَيْن حروب في أثناء الأسبوع.

وكان عميد العراق يشير على رئيس الرؤساء بالتوقّف عن المناجزة، ويرى المحاجزة ومطاولة الأيّام انتظاراً لِما يكون من السلطان، ولِما يراه من المصلحة بسبب ميل العامّة الى البساسيريّ، أمّا الشيعة فللمذهب، وأمّا السُّنّة فلما فعل بهم الأتراك.

وكان رئيس الرؤساء لقلّة معرفته بالحرب ولِما عنده من البساسيريّ يرى المبادرة إلى الحرب، فاتّفق أن في بعض الأيّام حضر القاضي الهمذانيُّ عند رئيس الرؤساء واستأذنه في الحرب، وضمن له قتل البساسيريّ، فأذِن له من غير علم عميد العراق، فخرج ومعه الخدم، والهاشميّون، والعجم، والعوامّ، إلى الحَلْبة، وأبعدوا، والبساسيريُّ يستجرُّهم، فلمّا أبعدوا حمل عليهم فعادوا منهزمين، وقُتل منهم جماعة، ومات في الزحمة جماعة من الأعيان، ونُهب باب الأزج، وكان رئيس الرؤساء واقفاً دون الباب، فدخل الدار، وهرب كلّ من في الحريم.

ولمّا بلغ عميدَ العراق فعْلُ رئيس الرؤساء لطم على وجهه كيف استبدّ برأيه ولا معرفة له بالحرب. ورجع البساسيريُّ إلى معسكره، واستدعى الخليفة عميد العراق، وأمره بالقتال على سور الحريم، فلم يَرُعْهم إلاّ الزعقات، وقد نُهب الحريم، وقد دخلوا بباب النُّوبيّ، فركب الخليفة لابساً للسواد، وعلى كتفه البُردة، وبيده السيف، وعلى رأسه اللواء، وحوله زمرة من العبّاسيّين والخدم بالسيوف المسلولة، فرأ النهب قد وصل إلى باب الفِردوس من دارِه، فرجع إلى ورائه، ومضى نحو عميد العراق، فوجده قد استأمن إلى قُريش، فعاد وصعِد[2] المَنْظَرة، وصاح رئيس الرؤساء: يا عَلَم الدين! يعني قريشاً، أميرُ المؤمنين يستدنيك؛ فدنا منه، فقال له رئيس الرؤساء: قد أنالك الله منزلةً لم ينلها أمثالك، وأمير المؤمنين يستذمّ منك على نفسه، وأهله، وأصحابه بذمام الله تعالى، وذمام رسوله، ﷺ، وذمام العربيّة.

---

(١) في (أ): «بالجامع بالرصافة».

(٢) في (أ) زيادة: «إلى».

فقال: قد أذمّ الله تعالى له؛ قال: ولي؟ ولمن معه؟ قال: نعم؛ وخلع قَلَنْسُوَته فأعطاها الخليفة، وأعطى مخصَرته رئيس الرؤساء ذماماً، فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء من الباب المقابل لباب الحَلبة، وصارا معه.

فأرسلة إليه البساسيريُّ: أتخالف ما استقرّ بيننا، وتنقض ما تعاهدنا عليه؟ فقال قُريش: لا! وكانا قد تعاهدا على المشاركة في الذي يحصل لهما، وأن لا يستبدّ أحدهما دون الآخر بشيء، فاتّفقا على أن يسلّم قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيريّ لأنّه عدوّه، ويترك الخليفة عنده، فأرسل قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيريّ، فلمّا رآه قال: مرحباً بمُهلك الدول، ومُخرّب البلاد! فقال: العفو عند المقدرة. فقال البساسيريُّ: فقد قدرتَ فما عفوتَ، وأنت صاحب طَيلسان، وركبتَ الأفعال الشنيعة مع حُرَمي وأطفالي، فكيف أعفو أنا، وأنا صاحب سيف؟

وأمّا الخليفة فإنّه حمله قريش راكباً إلى معسكره، وعليه السواد والبُردة، وبيده السيف، وعلى رأسه اللواء، وأنزله في خيمة، وأخذ أرسلان خاتون، (زوجة الخليفة، وهي)[1]، ابنة أخي السلطان طُغْرلبك، فسلّمها إلى أبي عبدالله بن جردة ليقوم بخدمتها[2].

ونُهبت دار الخلافة وحريمها أيّاماً، وسلّم قريش الخليفة إلى ابن عمّه مُهارش (بن المجلّي)[3]، وهو رجل فيه دين، وله مروءة، فحمله في هودج وسار به إلى حديثة عانة فتركه بها، وسار من كان مع الخليفة من خدمه[4] وأصحابه إلى السلطان طُغْرلبك مستنفرين.

فلمّا وصل الخليفة إلى الأنبار شكا البَرد، فأنفذ إلى مقدّمها يطلب منه ما يلبسه، فأرسل له جُبّة فيها قطن ولحافاً.

وأمّا البساسيريُّ فإنّه ركب يوم عيد النحر، وعَبر[5] إلى المصلّى بالجانب

---

(١) من (أ).

(٢) المنتظم ٨/ ١٩٤ (١٦/ ٣٤).

(٣) من الباريسية.

(٤) في (أ): «حريمه».

(٥) في الباريسيه: «وركب».

الشرقيّ، وعلى رأسه الألوية المصريّة، فأحسن إلى الناس، وأجرى الجرايات على المتفقّهة، ولم يتعصّب لمذهب، وأفرد لوالدة الخليفة القائم بأمر الله داراً، وكانت قد قاربت تسعين سنة، وأعطاها جاريتَيْن من جواريها للخدمة، وأجرى لها الجراية، وأخرج محمود بن الأخرم إلى الكوفة وسَقي[1] الفُرات أميراً.

وأمّا رئيس الرؤساء فأخرجه البساسيريُّ، آخر ذي الحجّة، من محبسه بالحريم الطّاهريّ مقيّداً، وعليه جُبّة صوف، وطُرطُور من لبد أحمر، وفي رقبته مِخنَقة جلود بعير[2]، وهو يقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ الآية[3].

وبصق أهل الكرْخ في وجهه عند اجتيازه بهم، لأنّه كان يتعصّب عليهم، وشُهّر إلى حدّ النجميّ، وأُعيد إلى معسكر البساسيريّ، وقد نُصبت له خشبة، وأُنزل عن الجمل، وأُلبس جلد ثَور، وجُعلت قرونه على رأسه، وجُعل في فكّيْه[4] كلاّبان من حديد، وصُلب، فبقي يضطّرب إلى آخر النهار ومات.

وكان مولده في شعبان سنة سبعين[5] وثلاثمائة، وكانت شهادته عند ابن ماكولا سنة أربع عشرة وأربعمائة، وكان حسن التلاوة للقرآن، جيّد المعرفة بالنحو[6].

وأمّا عميد العراق فقتله البساسيريُّ، وكان فيه شجاعة، وله فُتُوّة، وهو الذي بنى رباط شيخ الشيوخ.

ولمّا خطب البساسيريُّ للمستنصر العلويّ بالعراق أرسل إليه بمصر يعرّفه ما فعل، وكان الوزير هناك أبا الفرج ابن أخي أبي القاسم المغربيّ، وهو ممّن هرب من البساسيريّ وفي نفسه ما فيها، فوقع فيه، وبرّد فعله، وخوّف[7] عاقبته، فتُركت أجوبته مدّةً، ثم عادت بغير الذي أمّله ورجاه.

---

(١) في (أ): «وشقي».

(٢) من (أ).

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(٤) في (أ): «فيه».

(٥) في (أ): «تسعين».

(٦) انظر عن مقتل رئيس الرؤساء في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣١ و فيه حشدت مصادر كثيرة عنه.

(٧) في (أ) زيادة: «من».

وسار البساسيريُّ من بغداذ إلى واسط والبصرة فملكهما، وأراد قصد الأهواز، فأنفذ صاحبها هزارسب بن بنكير إلى دُبَيْس بن مَزْيد يطلب منه أن يصلح الأمر على مالٍ يحمله إليه، فلم يُجب البساسيريُّ إلى ذلك، وقال: لا بدّ من الخطبة للمستنصر، والسكّة باسمه؛ فلم يفعل هزارسب ذلك، ورأى البساسيريُّ أنّ طُغْرلبك يمدّ هزارسب بالعساكر، فصالحه، وأصعد إلى واسط في مستهل شعبان من سنة إحدى وخمسين [وأربعمائة]، وفارقه صَدَقَة بن منصور بن الحسين الأسَديُّ، ولحِق بهزارسب، وكان قد وليَ بعد أبيه على ما نذكره.

وأمّا أحوال السلطان طُغْرلبك، وإبراهيم يَنّال، فإنّ السلطان كان في قلّة من العسكر، كما ذكرناه، وكان إبراهيم قد اجتمع معه كثير من الأتراك، وحلف لهم أنّه لا يصالح أخاه طُغْرلبك، ولا يكلّفهم المسير إلى العراق، وكانوا يكرهونه لطول مُقامهم وكثرة إخراجاتهم، فلم يَقو به طُغْرلبك، وأتى إلى إبراهيم محمّد وأحمد ابنا أخيه أرتاش في خَلقٍ كثير، فازداد بهم قوّةً، وازداد طُغْرلبك ضعفاً، فانزاح (من بين يدَيْه)[1] إلى الرَّيّ، وكاتب ألبَ أرسلان، وياقوتي، وقاورت بك، أولاد أخيه داود، وكان داود قد مات، (على ما نذكره سنة إحدى وخمسين [وأربعمائة] إن شاء الله تعالى)[2]، وملك خُراسان بعده ابنه ألب أرسلان، فأرسل إليهم طُغْرلبك يستدعيهم إليه، فجاؤوا بالعساكر الكثيرة، فلقي إبراهيم بالقرب من الري، فانهزم إبراهيم ومن معه وأُخذ أسيراً هو ومحمّد وأحمد ولدا أخيه، فأمر به فخُنق بوَتَر قوسه تاسع جُمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين[وأربعمائة]، وقُتل ولدا[3] أخيه معه[4].

وكان إبراهيم قد خرج على طُغْرلبك مراراً، فعفا عنه، وإنّما قتله في هذه الدفعة لأنّه علم أنّ جميع ما جرى على الخليفة كان بسببه، فلهذا لم يعفُ عنه.

---

(١) من الباريسية.

(٢) من الباريسية.

(٣) في (أ): «ولدي».

(٤) زبدة التواريخ ٦٠، ٦١.

ولمّا قُتل إبراهيم أرسل طُغْرلبك إلى هزارسب بالأهواز يعرّفه ذلك، وعنده عميد الملك الكُنْدريُّ، فسار إلى السلطان، فجهزّه هزارسب تجهيز مثله[1].

ذكر عود الخليفة إلى بغداذ

لمّا فرغ السلطان من أمر أخيه إبراهيم يَنّال عاد يطلب العراق، ليس له همّ إلاّ إعادة القائم بأمر الله إلى داره، فأرسل إلى البساسيريّ وقُريش في إعادة الخليفة إلى داره على أن لا يدخل طُغْرلبك العراق، ويقنع بالخطبة والسكّة، فلم يُجِب البساسيريُّ إلى ذلك، فرحل طُغْرلبك إلى العراق، فوصلت مقدّمته إلى قصر شِيرين، فوصل الخبر إلى بغداذ، فانحدر حُرَم البساسيريّ وأولاده، ورحل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم في دجلة وعلى الظهر، ونهب بنو شيبان الناس، وقتلوا كثيراً منهم، وكان دخول البساسيريّ وأولاده بغداذ سادس ذي القعدة سنة خمسين [وأربعمائة] وخرجوا منها سادس ذي القعدة سنة إحدى وخمسين[2].

وثار أهل باب البصرة إلى الكرْخ فنهبوه، وأحرقوا درب الزَّعفران، وهو من أحسن الدروب وأعمرها. ووصل طُغْرلبك إلى بغداذ، وكان قد أرسل من الطريق الإمامَ أبا بكر أحمد بن محمّد بن أيُّوب المعروف بابن فورك، إلى قُريش بن بدران يشكره على فعله بالخليفة، وحفظه على صيانته[3] ابنة أخيه امرأة الخليفة، ويعرّفه أنّه قد أرسل أبا بكر بن فورك للقيام بخدمة الخليفة، وإحضاره، وإحضار أرسلان خاتون ابنة أخيه امرأة الخليفة.

ولمّا سمع قُريش بقصد طُغْرلبك العراق أرسل إلى مُهارش يقول له: أودعنا الخليفة عندك ثقةً بأمانتك، لينكفّ بلاء[4] الغُزّ عنّا، والآن فقد عادوا، وهم عازمون على قصدك، فارحلْ أنت وأهلك إلى البرّيّة، فإنّهم إذا علموا أنّ الخليفة عندنا في

---

(١) انظر: الفخري ٢٩٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٧٨، وتاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩ ـ ٣٦، وتاريخ ابن الوردي ١/٣١٤، والبداية والنهاية ١٢/٧٨، ٧٩، ومآثر الإنافة ١/٣٤١، والنجوم الزاهرة ٥/١١.

(٢) تاريخ الزمان ١٠٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٧، النجوم الزاهرة ٥/١١.

(٣) في (أ): «صيانة».

(٤) من (أ).

البرّيّة لم يقصدوا العراق، ونحكم عليهم[١] بما نريد. فقال مُهارش: كان بيني وبين البساسيريّ عهود ومواثيق نقضها، وإنّ الخليفة قد استحلفني بعهود ومواثيق لا مخلص منها.

وسار مُهارش ومعه الخليفة حادي عشر ذي القعدة (سنة إحدى وخمسين وأربعمائة)[٢] إلى العراق، وجعلا طريقهما على بلد بدر بن مُهلهِل ليأمنا من يقصدهما، ووصل ابن فورك إلى حلّة بدر بن مُهلهِل، وطلب منه أن يوصله[٣] إلى مُهارش، فجاء إنسان سواديّ إلى بدر، وأخبره أنّه رأى الخليفة ومُهارشاً بتّل عُكبرا، فسُرّ بذلك بدر ورحل ابن فورك، وخدماه، وحمل له بدر شيئاً كثيراً، وأوصل إليه ابن فورك رسالة طُغْرلبك وهدايا كثيرة أرسلها معه.

ولمّا سمع طُغْرلبك بوصول الخليفة إلى بلد بدر أرسل وزيرَهُ الكُنْدريَّ، والأمراء، والحجّاب، وأصحبهم الخيام العظيمة، والسُّرادقات، والتُّحَف (من الخيل بالمراكب الذَّهَب)[٤] وغير ذلك، فوصلوا إلى الخليفة وخدموه ورحلوا، ووصل الخليفة إلى النَّهروان في الرابع والعشرين من ذي القعدة، وخرج السلطان إلى خدمته، فاجتمع به، وقبّل الأرض بين يدَيْه، وهنّأه بالسلامة، وأظهر الفرح بسلامته، واعتذر من تأخّره بعصيان إبراهيم، وأنّه قتله عقوبة لما جرى منه من الوهن على الدولة العبّاسيّة، وبوفاة أخيه داود بخراسان، وأنّه اضطرّ[٥] إلى التريّث[٦] حتّى يرتب أولاده بعده في المملكة، وقال: أنا أمضي خلف هذا الكلب، يعني البساسيريّ، وأقصد الشام، وأفعل في حقّ صاحب مصر ما أجازي به فعله!

وقلّده الخليفة بيده سيفاً، وقال: لم يبق مع أمير المؤمنين من داره سواه، وقد تبرّك به أمير المؤمنين؛ فكشف غشاء الخركاة حتّى رآه الأمراء، فخدموا وانصرفوا.

(١) في (أ): «ونتحكم».
(٢) من (أ).
(٣) من (أ): «يرحل».
(٤) في (أ): «والخيل والمراكب والذهب».
(٥) في (أ): «اصطبر».
(٦) في الباريسية: «الترتب»، وفي (أ): «الترتب».

ولم يبقَ ببغداذ من أعيانها من يستقبل الخليفة غير القاضي أبي عبدالله[1] الدّامغانيّ وثلاثة نفر من الشهود. وتقدّم السلطان في المسير، فوصل إلى بغداذ، وجلس في باب النُّوبيّ مكان الحاجب، ووصل الخليفة فقام طُغْرلبك وأخذ بلجام بغلته، حتّى صار على باب حُجرته، وكان وصوله يوم الإثنين لخمسٍ بقين من ذي القعدة[2] سنة إحدى وخمسين [وأربعمائة]، وعبر السلطان إلى معسكره، وكانت السنة مُجدِبةٍ، ولم ير الناس فيها مطراً، فجاء تلك الليلة وهنّأ الشعراء الخليفةَ والسلطَانَ بهذا الأمر، ودام البرد بعد قدوم الخليفة نيّفاً وثلاثين يوماً، ومات بالجوع والعقوبة عدد لا يحصى، وكان أبو عليّ بن شِبْل ممّن هرب من طائفة من الغُزّ، فوقع به غيرهم فأخذوا ماله، فقال:

خَرَجنا من قضاء الله خَوفاً، فكانَ فِرارُنا مِنه إليهِ
وأشقَى الناسِ ذو عَزمٍ تَوالَتْ مصائبُهُ عليه، من يدَيْهِ
تَضِيقُ[3] عليهِ طُرقُ العُذرِ مِنها ويَقْسُو قلبُ راحِمِه عليهِ

ذِكر قتْل البساسيريّ

أنفذ السلطان بعد استقرار الخليفة في داره جيشاً عليهم خُمارتكين الطُّغْرائيُّ في ألفَيْ فارس نحو الكوفة، فأضاف إليهم سرايا بن منيع الخفاجيَّ، وكان قد قال للسلطان: أرسِلْ معي هذه العدّة حتّى أمضي إلى الكوفة وأمنع البساسيريَّ من الإصعاد إلى الشام.

وسار السلطان طُغْرلبك في أثرهم، فلم يشعر دُبَيْس بن مَزْيد والبساسيريُّ إلاّ والسريّة قد وصلت إليهم ثامن ذي الحجّة من طريق الكوفة، بعد أن نهبوها، وأخذ نور الدولة دُبَيْس رَحْلَه جميعه وأحدره إلى البطيحة، وجعل أصحاب نور الدولة دُبَيس يرحلون بأهليهم، فيتبعهم الأتراك، فتقدّم نور الدولة ليردّ العرب إلى القتال، فلم يرجعوا، فمضى.

---

(1) في (أ) زيادة: «بن».
(2) زبدة التواريخ ٦٣، تاريخ دولة آل سلجوق ١٩.
(3) في (أ): «يضيق».

ووقف البساسيريُّ في جماعته، وحمل عليه الجيش، فأُسر من أصحابه أبو الفتح بن ورّام، وأُسر منصور وبدران[1] وحمّاد، بنو نور الدولة دُبيس، وضُرب فرس[2] البساسيريّ بنُشّابة، وأراد قطع تَجفافِهِ لتسهل[3] عليه النجاة فلم ينقطع. وسقط عن الفرس، ووقع في وجهه ضربة، ودلّ عليه بعض الجَرحى، فأخذه كمشتكين دواتي عميد الملك الكُنْدريّ وقتله، وحمل رأسه إلى السلطان، ودخل الجُند في الظَّعْن[4]، فساقوه جميعه، وأُخذت أموال أهل بغداذ وأموال البساسيريّ مع نسائه وأولاده، وهلك من الناس الخلق العظيم، وأمر السلطان بحمل رأس البساسيريّ إلى دار الخلافة، فحُمل إليها، فوصل منتصف ذي الحجّة سنة إحدى وخمسين [وأربعمائة]، فنُظّف[5] وغُسل وجُعل على قناة وطيف به، وصُلب قبالة باب النُّوبّي[6].

وكان في أسر البساسيريّ جماعة من النساء المتعلّقات بدار الخلافة، فأُخذن، وأُكرمن، وحُملن إلى بغداذ.

ومضى نور الدولة دُبَيْس إلى البطيحة، ومعه زعيم الملك أبو الحسن عبد الرحيم؛ وكان من حقّ هذه الحوادث المتأخّرة أن تُذكر سنة إحدى وخمسين [وأربعمائة]، وإنّما ذكرناها هاهنا لأنّها كالحادثة الواحدة يتلو بعضها بعضاً.

وكان البساسيريُّ مملوكاً تركيّاً من مماليك بهاء الدولة بن عضُد الدولة، تقلّبت به الأمور حتّى بلغ هذا المقام المشهور، واسمه أرسلان، وكنيته أبو الحارث، وهو منسوب إلى بَسا مدينة بفارس، والعرب تجعل عِوض الباء فاء فتقول فَسَا، والنسبة إليها فساويّ، ومنها أبو عليّ الفارسيّ النحويّ، وكان سيّد هذا المملوك أوّلاً من بَسَا، فقيل له البساسيريُّ لذلك، وجعل العرب الباء فاء فقيل[7] فساسيريّ[8].

---

(١) في (أ): «ابن بدران».

(٢) في (أ): «قريش».

(٣) في (أ): «ليسهل».

(٤) في (أ): «الظن».

(٥) في الأوربية: «فنطف».

(٦) انظر عن مقتل البساسيري في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧٢ وفيه حشدت مصادر كثيرة عنه.

(٧) في (أ): «فقالوا».

(٨) انظر عن (البساسيري) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٠١. ٣٠٢ رقم ٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ذكر عدّة حوادث

في[1] هذه السنة أقرّ السلطان طُغْرلبك حملان بن وهسوذان بن مملان على ولاية أبيه بأَذَرْبيَجان[2].

وفيها مات شهاب الدولة أبو الفوارس منصور بن الحسين الأسديُّ، صاحب الجزيرة، (عند خُوزستان)[3]، واجتمعت عشيرته على ولده صدقة[4].

وفيها تُوفّي الملك الرحيم[5]، آخر ملوك بني بُوَيْه، بقلعة الرَّيّ، وكان طُغْرلبك سجنه أوّلاً بقلعة السِّيروان، ثم نقله إلى قلعة الرَّيّ فتوفّي بها.

وفيها عصى علّي بن أبي الجبر[6] بالبطائح، وكان متقدّم بعض نواحيها، فأرسل إليه طُغْرلبك جيشاً مع عميد العراق أبي نصر، فهزمهم أبو عليّ.

وفيها يوم النَّوروز أرسل السلطان مع وزيره عميد الملك إلى الخليفة عشرة آلاف دينار سوى ما أضيف إليها من الأعلاق النفيسة.

[الوفيات]

وفيها، في صفر، تُوُفّي أبو الفتح بن شيطا القاري[7]، الشاهد، وكانت شهادته سنة خمسٍ وأربعين وأربعمائة.

وفيها، في شهر ربيع الأوّل، تُوُفّي القاضي أبو الطيّب الطبريُّ[8]، الفقيه

---

(١) في الباريسية: «كانت سنة خمسين».

(٢) تاريخ الإسلام (٤٥١ هـ.) ص ٢٧٣ وفيه «علان».

(٣) من (أ).

(٤) انظر عن (أبي الفوارس) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٥٩ رقم ٣٦٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (الملك الرحيم) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٦١ رقم ٣٦٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في طبعة صادر ٩/ ٦٥٠ «أبو علي بن أبي الجبر»، والتصحيح من: المنتظم ٨/ ١٩٧ (١٦/ ٣٨).

(٧) انظر عن (ابن شيطا القاري) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٤٨، ٢٤٩ رقم ٣٤٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) هو: طاهر بن عبدالله بن طاهر، انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٤١ ـ ٢٤٥ =

الشافعيّ، وله مائة سنة وسنتان، وكان صحيح السمع والبصر، سليم الأعضاء، يناظر ويُفتي ويستدرك على الفقهاء، وحضر عميد الملك جنازته، (ودفن عند قبر أحمد، وله شِعْرٌ حَسَن.

وفي سَلْخه تُوُفّي قاضي القضاة أبو الحسين)[1] عليُّ (بن محمّد)[2] بن حبيب الماورديُّ[3]، الفقيه الشافعيُّ، وكان إماماً، وله تصانيف كثيرة منها: الحاوي وغيره في علوم كثيرة، وكان عُمره ستّاً[4] وثمانين سنة.

وفي آخر هذه السنة توفّي أبو عبدالله الحسين بن محمد[5] الرقّا[6]، الضّرير الفَرَضيُّ، وكان إماماً فيها على مذهب الشافعيّ.

وفيها، في شوّال، كانت زلزلة عظيمة بالعراق، والموصل، ووصلت إلى هَمَذان، ولبثت ساعةً، فخرّبت كثيراً من الدور، وهلك فيها الجمُّ الغفير[7].

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو محمّد عبدالله بن عليّ بن عياض المعروف بابن أبي عقيل[8]، وكان قد سمع الكثير من الحديث ورواه.

وتوفّي أيضاً القاضي أبو الحسن عليُّ بن هندي قاضي حمص، وكان وافر العلم والأدب.

= رقم ٣٣٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(١) ما بين القوسين من (أ). وفي الباريسية ورد بدله: «وتوفي».

(٢) من (أ).

(٣) انظر عن (الماوردي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥ رقم ٣٥٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «ست».

(٥) في طبعة صادر ٩/ ٦٥١ «الحسين بن علي»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٤٠ رقم ٣٣٦.

(٦) من (أ).

(٧) المنتظم ٨/ ١٩٠ (١٦/ ٣٠)، البداية والنهاية ١٢/ ٧٩، كشف الصلصلة ٩/ ٧.

(٨) أنظر عن (ابن عقيل) في: تاريخ الإسلام (٤٤١-٤٦٠) ص ٢٤٦، ٢٤٧ رقم ٣٤٢ وفيه مصادر ترجمته، وكتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ق ١ج ٣/ ٢٠٠- رقم ٨٩١ ٢٠٢ رقم ٨٩١، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١١٦- ١١٨.